قصة..
عروس للوقت الإضافي
وقصص أخرى

ح محمد عصبي محمد الغامدي، ١٤٤٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي، محمد عصبي محمد
عروس للوقت الإضافي. / محمد عصبي محمد الغامدي. - الرياض ، ١٤٤٠ هـ
١٩٦ ص، ١٤× ٢٠ سم
ردمك: ٩-١٤٠- ٠٣- ٦٠٣- ٩٧٨
١- القصص القصيرة العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣. ٠١٩٥٣١ ١٤٤٠/ ٦٥٨٧

رقم الإيداع: ١٤٤٠/ ٦٥٨٧
ردمك: ٩-١٤٠- ٠٣- ٦٠٣- ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار الطرفين للنشر والتوزيع
الطائف - وادي وج - جنوب جسر خالد بن الوليد
جوال: ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨ - ٠٥٠٣٥١٢٤٩٩
www.tarafen.com
tarafen@maktoob.com

قصة..

عروس للوقت الإضافي

وقصص أخرى

تأليف

محمد بن عصبي الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الريح العاتية

انتشرت المباني الجديدة في قرية التلال على مدرجات كانت تزرع بها الذرة والقمح والشعير ولكنها بعد حاجة الناس إلى التوسع العمراني لم يكن هناك بدّ من البنيان فيها..... وقد التوت طرق الإسفلت المعبدة بين المنازل..... واتسع نطاق العمران.. وأصبحت الأبنية القديمة أثرًا بعد عين.....

بالقرب من هذه القرية يوجد قرية أخرى صغيرة بها محلات تجارية وأسواق مركزية وكذلك مقهى صغير يجتمع فيه السمار، وقد كنت من ضمن من يذهب إلى ذلك المقهى ولا سيّما وأنني جديد في المنطقة وأريد أن أتعرف على أكبر عدد ممكن من الشباب فأنا لا أحب الوحدة.

وكان يعتبر لنا ناديًا ليليًا نقضي فيه جلساتنا أغلب أيام الأسبوع..

ذات ليلة:

ذهبت إلى المقهى مبكرًا عن عاداتي وقبل أن يحضر الزملاء... كنت في حالة نفسية سيئة وكان همّي أن أخرج من وحدتي وأجلس مع بعض السمار هناك...

أنظر حولي فلا أرى إلّا ذلك العامل الذي أتاني يشكو من صعوبة العمل الذي يقوم به..... فهو القهوجي الوحيد في المقهى وقد طلب من كفيله مساعدته بعامل آخر أو إعفاءه عن عمله.... إلا أن كفيله رفض.. وأخذنا في الكلام حول هذا الموضوع... ولم يقطع حديثنا سوى دخول رجل كبير السن من باب المقهى واتجه إلينا ثم سلم وجلس بجانبي.

كان ذلك العجوز في سن السبعين تقريبا وبالرغم من برودة الجو إلا أن يده كانت باردة جدًا..... له عارض خفيف ابيض وشارب مقصوص ماعدا سنتيمتر واحد تقريبا أمام انفه... وعينان قد غطّاهما حاجبان كثيفا الشعر..... يظهر في عينيه سهر أو تعب شديد.

أخـذت اختلس من نظراتي إليه فحسـبته مسـافرًا أو قادما من سـفر.. فالمقهى يقع على الطريق العـام... وقد يكون الرجل عابر سبيل... وأخذت أُحدّث نفسي في هذا الموضوع....

حيّـاني تحية المجاملة ورددت عليه.. ثـم طلب حجرًا وكوبا من الشاي.... وبدأت أسـأل عنه نفسـي وأُجيبها..... هل هو من أهل المنطقة.....؟

أنـا لم أره من قبل..... غيـر أني لا أعيش في هذه المنطقة إلا منذ فترة قصـيرة..... فعزمت على مسـاءلته.... وأريد أن أعرف وجهته..... وما سرّ هذا البرودة في يده.

- هل أنت مسافر؟
- لا أبدًا.
- من أين أتيت؟
- من البيت.
- يعني أنك من قريب...؟
- نعم ولماذا تسأل؟

– أبـدًا... بـرودة يدك جعلتنـي أظن أنك مســـافر أو لعلك أتيت من مكان بعيد.

– تبسم الرجل عندئذ وقال:

– أنت مستغرب إذًا؟

– نعم..

– كثيرا من النـاس يقولون ذلك.... ولكنها طبيعية ويظهر إن ذلك مثل أنابيب الثلاجة....

ألا تعلم أنك عند ملامستك أنابيب الثلاجة الخارجية تجدها ساخنة جدًا..... ولكنها تعـــطي برودة إلى ما تحت الصـــفر داخل الثـــلاجة أليس كذلك..؟

– نعم هذا صحيح

– أما أنا فيظهر أنني عكس ذلك..... فالبرودة التي في يدي تعكس الحرارة التي أحس بها في قلبي.....

حاولـت أن أُنهـي حديثـي معه فأنا أريـد الانتقـال إلى بعض الزملاء الذين حضروا بعد ذلك.... لنبدأ في لعب الورقة.... وفعلا

قمت إلى زملائي وأخذنا في السمر ولعب الورقة حتى الساعة الحادية عشرة ليلا.... ثم استقل كلا منّا سيارته وعدنا إلى منازلنا.

وفي الليلة التالية

وجدت ذلك العجوز قد سبقني في المقهى فجلست بجانبه وبدافع الفضول صافحته لكي أتأكد من طبيعة يده.... كما قال في الليلة السابقة وطلبت برادًا من الشاي..... وبدأ يسألني عن اسمي ومن أي قرية أنا.. وأين أعمل.. وجاوبته على أسئلته..... وظهر لي بعد ذلك أن الرجل يعرف والدي.... وأخذ يقص عليّ حكايات قديمة كانت له مع والدي.... حيث كانا يعملان سوا عند أحد أفراد قريتهم قبل أكثر من ثلاثين سنة وسألني عن والدي وعن إخواني ومن كانوا يعملون معهم في ذلك الوقت.. وعن أناس آخرين في قريتنا.

وبعد فراغه من أسئلته..... سألته عن اسمه فقال إن اسمه سالم وأنه من القرية التي يوجد بها المقهى..... والحقيقة أنني لم أعرفه من قبل... نظرًا لكوني لم أعش في المنطقة لفترة طويلة.....

فقـد كنـت أعمل في منطقـه أُخرى ولا أعـرف كثيرًا مـن أهل هذه المنطقـة..... إلا أننـي أعـرف بعـض أفـراد العائلـة التـي ينتمـي إليهـا.... وكان من ضمـن من عرفتهم منهم ابـن أخيه الذي درس معـي قبل أكثر من عشـرين سـنة.... وأخذ بنا الحديـث إلى نواح شتى.... وعرفت الرجل وعرفني في أقل من ساعتين وكأنني أعرفه منـذ فترة طويلـة..... وقال لي إنه الآن قد أحيـل.... للتقاعد منذ عشر سنوات وإنه الآن.... يعمل كمتعهد لنقل طالبات في المرحلة الإبتدائية وأن لديه خمسة أطفال. ويشكو من تردي حالته الصحية.

عنـد ذلك تبادر إلى ذهني أن تـردى حالته قد تكون من جراء معاودته لتدخين الأرجيلة وسألته:

- بماذا تحس؟

- ضيق في صدري وسعال وأرق عند النوم..

- ألا تـرى أن متاعبـك الصحيـة التـي ذكرتها هي مـن جراء مداومتك على شرب التدخين...؟

- بلى إنني أعلم ذلك....

- إذا كنت تعلم ذلك فان عليك الإقلاع عنه.....

- أرجو ذلك....

- منذ متى وأنت تدخن....

- منـذ زمن بعيـد إلا أنني قد تركتها تسـع سـنوات ثم عدت إليها...

- إن كـبر سـنك مع إدمانك بهذا الشـكل يجعل منك فريسـة سهلة للإمراض المتعبة.

- مررت بفترة من حياتي وكانت فيها الحياة والمـوت عندي سواء..... فلم يبـق لدي شي أندم عليه.

- حتى حياتك؟

- حياتي....!.... هل تعلم أنني كنت أحيانًا أتمنى الموت...

- أعوذ بالله.....

- والله لقد مرت بي أيام تمنيت فيها الموت.

- ألست تقول أن لديك خمسة أطفال....؟

- بلى هذا صحيح....

- ألا تخاف عليهم....؟

- لهـم رب العالمين..... والرحمـن دائما ينزل الرحمة قبل البلاء.. ولا يجمع بين عسرين.

وبدأ الرجل منفعلًا وأسـتوى جالسًا وقال..... إن الحياة كلها تعب ولكن بعض متاعب الدنيا تنسيك نفسك وأطفالك....

فلمـا رأيـت الرجـل مندفعًـا..... حاولت أن أنتقـل به إلى موضـوع آخـر غير موضـوع الحيـاة والمـوت..... فأنـا أنهاه عن التدخين وأنا أسهر معه وأدخّن أيضًا..... فالأولى بي أن أبدأ نفسي بهذه النصيحة وقلت له.... لقد تأخرت فاسـتأذنته وركبت سيارتي واتجهت إلى منزلي لا أنشد إلّا الراحة.

وفي الليلة التالية

كنت متعمدا أن أجلس وحدي في نفس المكان الذي جلست فيـه مع العم سـالم بعيـدًا عـن زملائي السـابقين طمعـا في حديثه والجلوس معـه.... وبالفعل أتى..... وجلس جانبي بعد أن طلب

من الجرسون إحضار حجرًا له.... وبدأ الكلام قائلا لقد كنت مندفعا في حديثي معك ليلة البارحة..... وأجبته أنني لم أريد له إلا الإصلاح ما استطعت.. ولكن من واجبي أن أبدأ نفسي بتلك النصيحة التي أسديتها إليك.....

فقال: إنني لم أعد للتدخين إلّا من ظروف قاسية مررت بها قبل أكثر من عشر سنوات..... وقد كنت أحضر إلى هذا المقهى لأتسلى مع بعض الزملاء في لعب الورقة..... إلّا إن الزملاء أغلبهم يشيشون فأعادني الحنين للعودة لشربها مرة أخرى.... وقد كان لجلوسي مع الزملاء هنا أثر طيب أخرجني من وحدتي.... ومن كآبة خيمت على مشاعري لفترة من الزمن.

– كل إنسان لديه ما يكفيه من المشاكل وهل تعتقد أنه ليس لدينا مشاكل ولكن كل شيء بثوابه.

– لا أبدًا... إن مشاكلي في تصوري لم تحدث إلا للقليل من الناس.... وأنا أحمد الله إن العقل بقي..... وأن الدين بقي.... لقد مرّت عليّ فترة من الزمان لم احسب أنني سوف أخرج منها أبدًا.... ولكن الحمد لله الذي أعانني على الخروج منها سالما.

- ربما؟

- لقد مرّت بي فترة قاسية كنت أتمنى الموت فيها كما سبق أن قلت لك.

- ومع من كانت مشاكلك هذه؟

- لا أدري....

- ألا تقل إنك تعرضت لمشاكل؟

- بلى....

- مع من إذًا.....؟

- لا أدري من هو خصمي حتى هذه اللحظة

- فكيف إذًا.....؟

- قصه يطول شرحها.....

- مع من.....؟؟

- مع المجهول....

- المجهول خصمك....؟

- نعم....

- أنا لم أفهم شيئًا.....

- أعدك بان أشرح لك القصة بكاملها.... ولكن بشرط أن لا تبوح بما أقوله لك إلّا بعد موتي.....

- لا إله إلا الله..... ربما أموت أنا قبلك...

- فتكون بذلك قد دفنت السرّ معك....

ثم نظر إلى ساعته واستأذن وانصرف..... وبقيت بعده قليلا من الوقت ثم انصرفت أنا أيضًا....

وفي الليلة التالية

تقابلنا في نفس المكان.

وبدأ يقص عليّ العم سالم حديثه وقصته فقال:

بدأت قصتي عندما انبرى أحد... لا أعرفه بالكتابة ضدي لبعض الجهات الحكومية برسائل مجهولة... وكتابات فيها من الزور والبهتان مالا يعلمه إلّا الله..... وأخذ في تكرار هذه

الكتابات.... وأنا.. يا غافل لك الله.... لا أدري بما يحاك ضدي ولا ما يكتب عني..... ووزع صور كثيرة من كتاباته تلك في كل مكان.... كان القصد منها كما بدى لي..... تشويه سمعتي ومحاربتي وإبعادي عن العمل الذي كنت أعمل فيه..... وكان يرسل صورا منها إلى إدارتنا لإعلامي بذلك..... إلّا أن مدير إدارتنا كان يخفي ذلك كما قال.... حفاظا على مشاعري... واستدعائي أحد الزملاء ذات يوم وأخبرني أنه وجد زميل له يعمل في الشرطة وسأله عني أسئلة كثيرة عن عملي وعن أعدائي وأصدقائي وسلوكي.... وأخبره أيضًا إن هناك شكوى ضدي من إنسان مجهول.... وأن فحوى الشكوى سيئ للغاية..... ولم أعط الموضوع اهتماما كبيرًا في حينه.... لأنني أعلم أن هذا الموضوع كذب وافتراء واعتقدت أنه بعد المساءلة عنّي والوصول إلى الحقيقة من قبل الجهات المعنية سينتهي الأمر عند ذلك.... وبعد تكرار هذه الكتابات استدعاني مدير الإدارة وأخرج من درج مكتبه صور لهذه الكتابات وقال:

لقد أخفيتها حفاظًا على مشاعرك..... ولكن بعد هذا

التكـرار أريدك أن تحتـاط.... فالأمـر الذي يحاك ضـدك... أمرًا ليس بالبسيط..... والحقيقة إنني بعد قراءتي لتلك الرسائل أصبت بشـبه صعقـة كهربائيـة... وجلسـت على كرسـي بجانـب مكتب المديـر وأنا أحس أن رجلاي لم تعد تحملاني.. وأخذت في تكرار قراءتها..... وإذا فيها من الزور والبهتان ما يشيب له الأطفال..... وأبديت انزعاجًا.. بالموضوع وظهر ذلك لمدير الإدارة من ملامح وجهي.... وأخذ يشد من عزيمتي وينصحني بعدم الارتباك... وان هذا المنافق لن ينظر إلى قذارته وكذبه.... وأن الدنيا والحمد لله لا تزال بخير.... وإن هذه شكاوي كيدية لا ينظر إليها.

فشـكرته وانصرفـت لا ألـوي علـى شـئ..... وذهبت إلى مكتبـي وارتميـت على كنبـة بجانب بـاب مكتبي في حالة نفسـية سـيئة.... بل إنني اعتقد إنها أسـوأ سـاعة مررت بها في حياتي.... وأقفلـت باب مكتبي أسـتعيد في خيالـي قراءة تلك الرسـائل.... حيـث لم يسـمح لي المديـر بأخذهـا..... لكنها كانت مرسـومة في نظـري إلـى وقـت قريب..... بـدأت اسـتعيد قراءتهـا وطريقة كتابتها.... وأسـلوب التعبير الذي كتبت بـه..... وأخذت أبحث

بفكري عن هذا المجرم الذي كـــتبها وما هــو هــدفه.....؟.. وأيــن هو.....؟ وماذا يريد مني؟

وبــدأت أرســم الإجـرام علـى كل الوجـوه التـي أراهـا في المكتـب....، في الطريـق،..... في القرية..... لكننـي أجزم أنه لن يخـرج عن زمـلاء العمـل..... وأنا اعتقد أنه ليـس لي عدوا في الإدارة... وزاد الأمر تعقيدًا في كوني لم أكن أحسب أن أحدًا يضمر لي هذا العداء فأنا لم أقدم إساءة لأحد ولا انتظر ذلك من أحد.

وبدأت أتذكر أسـلوب كتابة الأوراق وأقارنها مع مسـتويات التعبير لكل من أعرفه..... وأنقل التهمة في نفسي من شخص إلى آخر.. في معاناة نفسـية سيئة جداً ..... وبالرغم من ذلك كله..... فلقـد اجتهدت في كتمان الأمر وعدم إبداء شـيء منه لأي كائن من كان.... فالأمر أسوأ من أبديه لأحد أو اشتكي منه لأحد.....

وبعـد فـترة بـدأت أرى في إدارتنا وجـوه غريبـة..... تأتي وتذهب وكل واحد من زملائي يأتي ويخبرني أنه جاء إليه شـخص وسـأله عني وعن سـلوكي ومعاملتي وعملي..... وأنه أبدى له إن هناك شـكوى يخشـى علـيّ من عاقبتهـا.... والحقيقـة إن معاناتي

النفسية من هذه الحركات متعبة جدًا إلا إنني كنت أُبدي عدم اكتراثي بالأمر.... وأُخبرهم إن عندي من ذلك خبر..... وأنني قد عملت لكل شي حسابه..... وليس هناك داعي للخوف عليّ... وأشكرهم على تلك المواساة والشعور الطيب.. إلّا إنني كنت احترق في قرارة نفسي... كما ذكرت بتلك الحركات.

وامتدت أذيتي النفسية على هذه الحال لمدة طويلة.... وأنا أنظر إلى كل زائر لإدارتنا بأنه لم يأت إلا ليسأل عني وأتابعه من وقت دخوله إلى حين خروجه..... لأرى مع من جلس.. ومن سيأتيني بخبره بعد ذلك..

ثم استأذنت العم سالم في الانصراف على أن نواصل حديثنا ذلك الليلة القادمة وانصرفت....

وفي الليلة التالية.

بدأ العم سالم حديثه قائلا:

كانت معاناتي أثناء هذه الفترة صعبة جدًا فأنا أتخيل كل من

ينظـر إليّ أنه يعرف ما كتبـه عني ذلك المنافق... وكل من يمشـي خلفـي ولو لخمس خطـوات أنه يراقبني.... وبدأت أَشـكُ في كل الناس من حولي.... والخوف يطاردني في كل مكان..... فلا أرتاح في مجلـس... ولا أتلـذذ بنـوم.. ولا أكل.. ولا شـرب... ولا غير ذلـك... بالرغـم مـن محاولتي عدم إبـداء ذلك لأهلـي وأولادي الذيـن بدأوا يلاحظون عـدم الراحة على وجهي وحـركاتي..... فأنا لا استطيع الجلوس معهم ولا الحديث إليهم..... دائما في قلق وعبوس لم يعرفه أطفالي وأهلي من قبل..... فأصبحوا يهمسـون بذلـك فيما بينهـم..... ولكنهم لم يشـعروني بذلـك..... إلّا في بعض الأوقات بأنني لم أعد كما كنت من قبل..... ورغم محاولتي إقناعهم بأن كل شيء كما هو..... وأنه لم يتغير في طباعي أي شئ إلا إن ذلـك كان واضحًـا كما أسـلفت من تصرفـاتي وقلقي وتغير ملامح وجهي.... والحذر الذي أبديه من كل شـيء... وكان ذلك على حسـاب صحتي.... فالنوم لا أعرفه إلّا غفوات..... تفتقدني زوجتي في بعض الليالـي وتجدني واقفا على ظهر المنزل في الثلث الأخير من الليل.....

ومضى عليّ فترة ليست قصيرة وأنا على هذا الحال..... لا أسمع صوت سيارة تمر من الشارع المجاور إلّا حسبت ذلك المجرم فيها..... ولا أسمع خطوة تمر بجانب المنزل إلا نهضت من فراشي لأعرف أمرها وخبرها... وأوشكت على الجنون....

سرق من مكتبي أوراق ومعاملات..... فلم أعلم أحدًا بذلك وقمت باستبدالها فهي ليست بذات أهميّة كبيرة.... وطالت معاناتي.... ولكنني لم أرى شيئا..... ولم أعثر على من يدلني لهذا المجرم.... وصرت أخاف المبيت في المنزل..... وأخشى من الذهاب إلى العمل..... ولا أدري في أي اتجاه أسير.

واستمر الحال على ذلك فترة طويلة... وأنا أتوقع إنني سوف أُمسك ذلك المجرم.... الذي يتعمد أذيتي.... وأن باستطاعتي الوصول إلى ضالتي... إلا إن شيئا من ذلك لم يحدث.... وكنت كمن يصارع الدنيا بكاملها.

لا أعرف خصمي..... ولا أعرف ماذا يريد مني..... ولا أعرف ما هو السبب الداعي لأذيتي.... وهل هو شخص واحد أو أكثر.. لا أدري...

وقاطعته:

– كان عليك.. أن تتقدم للشرطة وتخبرهم بذلك طالما أنت واثق من نفسك كما تقول.

– كان أملي أن الأمر سينتهي عندما يسألون عني... ويعرفون الحقيقة إلّا إن هذا المجرم كان يتمادى في الكتابات ويذهب بها إلى جهات مختلفة..... حرصا على متابعة أذيتي.... وبدأ باستعمال طرق أخرى للرمي من جهات مختلفة..... وخوفي من أن يطلع على هذا الأمر أحد فقد آثرت السكوت والصبر.... إلّا إن ذلك جعل مني هدفا سهلا لخصمي..... واستغل سكوتي وأخذ في متابعة الضربات بأسلوب بذيء للغاية.

كانت طريقة البحث والتحري سيئة جدا... كانت تشبه إلى حد كبير التشهير بي..... فقد كانت سيئة للغاية أساءت إلى سمعتي أكثر مما أراده لي ذلك المنافق....

وفي الليلة التالية:

أخذت سيارتي وانطلقت مسرعا إلى المقهى لمواصلة سماع بقية القصة إلا إنني وجدت الرجل في غير مكانه المعهود.... وإذا به بين أناس لا اعرفهم وقد اتضح لي فيما بعد أنهم من قريته..... فطلبت من الجرسون حجرا وبراد شاي.... وجلست معهم وأخذ العم سالم يعرفني على أولئك النفر ويعرفهم بي.... ويقول هذا ابن فلان بن فلان الذي عمل لفلان (شخص من قريتهم) كذا وكذا وكان أبوه من زملاء الصبا..

وقد آثرت في تلك الليلة الجلوس منطويًا على نفسي.... فهم يتحدثون عن أشياء حدثت في قريتهم وأنا من باب الأدب لا أريد أن أتدخل فيما لا يعنيني فهذا شئ يخصهم وحدهم في قريتهم....

وتأكد لي أنني لن أحصل من العم سالم على فائدة في تلك الليلة وعدت إلى منزلي.

وفي الليلة التالية:

حضـرت إلى المقهـى مبكرا فقد انتابنـي الملل من الجلوس في البيت وحضرت فوجدت العم سـالم قد سبقني بل إنه لم يصلي العشاء إلا في المقهى كما قال لي..... وبعد اسـتتباب الجلسـة بدأ يكـمل في حديثه قائلا:

وحاولت بعد ذلك أن أستشير أحد الأصدقاء إلا أنني ترددت كثيـرًا فأنـا أحـرص كل الحـرص على عـدم إبداء هـذا الأمر لأي مخلوق....

وربمـا أستشـير أحدًا قد أحسـبه صديقـا.... فيتخذ من ذلك سلّما عليّ... وأبقى بعد ذلك في وضع مهزوز أمامه.

وما أكـثر الأصحاب حـين تعدهم

ولكنهـم مـن النائبات قليـل....

وقد كان ما حسـبته صحيحا... فقد ذهبت لأحد الإخوان الذي كان محسـوبا من الأصدقاء.... وبدأت أبحـث معه الموضوع من بعيد.. بحيث لم أعلمه من بـداية الأمر أنني أتـعرض لما أتعرض له.

فقلت له: إن لدي صديق وعزيز علي يتعرض لبعض المضايقات والمشاكل..... وإذا كنت تعرف أحدًا في بعض الإدارات فأنني أريدك أن تحاول أن تجمع بيننا لأشرح له ملابسات الموضوع.... فأبدي استعدادًا كبيرًا..... إلا إنه كان مصممًا على أن يعرف الشخص الذي تدور حوله المشكلة... فأخبرته أخيرا أنني ذلك الرجل.... عندها تحول الرجل فجأة.... وبدا يتهرب من وعده السابق..... وانقطع عني لمدة طويلة حتى عندما أسأل عنه عن طريق الهاتف كان الجواب إنه غير موجود بالمنزل..... وتأكدت أنه لن يفيدني بشيء..... عندها ذهبت إلى صديق آخر أعرف إنه يخاف الله تماما..... فانه إن لم يساعدني فقد يحفظ سري ولن يكذب عليّ..... ولقد كان فعلا الصديق الصدوق فلقد حفظ الموضوع بسرية تامة وبدأ يبحث معي عن مخرج..... بل لقد أولى الموضوع اهتماما بالغًا لا أحسب إنني أنسى له ذلك الجميل ما حييت أبدًا..... واستقر رائي معه بعد ذلك إنه لابد من التقدم بشكوى مضادة إلى الجهات الرسمية.. فالإنطواء والسكوت بمثابة الإعتراف الضمني... ولن يفيدني بشيء حول الموضوع....

وفعلا تقدمت بشكوى إلى الجهات المختصة.... شرحت فيها بعض الأوضاع السيئة التي أتعرض لها.. وتذمري حتى من طريقة البحث والتحري بأنها كانت عملية أقرب إلى التشهير من التحري. وفندت فيها كذب تلك الإدعاءات التي كتبت عني.. وكان تجاوب المسؤولين بعد ذلك إيجابيًا جدًا.... بحيث بدأ الإطمئنان يدب إلى نفسي وأشعر أن الدنيا بخير وأن الحق لا زال هو الحق... حتى وإن كان للباطل جولة.

عند ذلك استأذنني في الذهاب إلى دورة المياه.... وطلبت أنا من الجرسون حجرًا وإحضار برادا من الشاي.

ثم جاء وجلس وبدأ في إكمال القصة وقال كنت سعيدا جدا بذلك التجاوب الذي وجدته لدى المسؤولين أملًا أن متاعبي في طريقها إلى الأفول.... إلا أنني بعد ذلك دخلت في سلسلة من الإرهاب أدهى وأمر من تلك الكتابات التي كنت أتعرض لها.... وكأن هذا المنافق يعيش معي لحظة بلحظة..... ويعرف ما آلت إليه كتاباته السابقة.... فأراد محاربتي بطريقة تفقدني طعم الراحة النفسية والعقلية.....

بدأت أجد العبث في سيارتي.... بكسر زجاج السيارة تارة.... وصدمها وهي واقفة..... وسحب بعض عجلاتها منها.... تارة أخرى.... علاوة على بعض الكتابات التي أجدها على باب السيارة وجدران البيت..... فعند خروجي من صلاة الفجر من المسجد..... لم يكن همي سوى تفقد ما تم إيذائي به تلك الليلة..... فان كان كتابة في الجدران أقوم بطمسها..... حتى لا تقرأ الكلمات المكتوبة... وأصبح جدار المنزل كأنه سبورة وسخة..... وعدت أيضًا في قضاء أكثر من نصف الليل على سطح المنزل لكنني لم أجد شيئا..... تعددت الأذية... إلى كل الناس الذين أمشي معهم..... فأنا أمشي مع شخص اليوم... عليه أن ينتظر قارعته غدًا.... ثم أرسل زفرة عميقة.. لا حول ولا قوة إلا بالله.... وسكت بعدها قليلا وأنا لم أتكلم بأي كلمة.. ثم قال:

هذه الأشياء أتعذب منها أكثر من صاحبها.... حيث أنني أعلم أنني أنا المقصود منها.... وهذه المتاعب التي يتعرضون لها أنا المتسبب لهم فيها.... وكم كانت معاناتي النفسية كبيرة عند ذلك.

- ألم تَشُكّ طيلة هذه الفترة في أحد...؟

– لـم اسـتبعد إنسـانا ينظر إلـيّ إلا ظننت أنه هـو... وكذلك بدأت أشك وأخاف من أي إنسان يمشي خلفي... أي كلام من أي شـخص أحلله تحليلا دقيقًـا... أي حركة أراها من صديق أو عدو أفسـرها بتفسـيرات عـدة..... إلا أنني متأكد أن خصمي شـديد الدهاء والمراوغة..... وقد أبديت لبعض الذين أشك فيهم بطريقة غير مباشـرة شـكي فيه..... فحلف يميـن كان فيها مـن المداخلة والمراوغة ما جعلني أشـك فيه أكثر مـن ذي قبل..... وبعد ذلك كنت أتحرّج من المشـي مع أي شـخص خوفا عليه من الأذية.... وأصبحـت تصلنا كتابات أخـرى في بعض زملائـي القريبين مني. في العمل... فيها اتهـامات وأكاذيب لا يصدقها عقل..... واشتهر الأمـر في إدارتنا.... وبدأ بعض الزملاء ينظر إلينا بعين الشـفقة.... رغـم ما نبديه لهم مـن عدم اكتراث وصلابة موقـف.... ونحن في وضع نفسي يصعب تصوره...

كما بـدأ بعض الزملاء ينفر من الجلـوس معنا والتحدث إلينا وغدينا في وضع نفسـي سـيء للغايـة.... وأخذت أترقـب الزملاء العامليـن معنـا في الإدارة.... لأعلـم مـن المسـتفيد مـن وضعنـا

ذلك.... وأقرب منهم أكثر فأكثر طمعا في أن ألمس ما يوصلني إلى الحقيقة.... ومن هو المستفيد من مشكلتنا تلك.... ولم أحصل على ما يدلني على شيء من ذلك.... فأنا أسمع من هذا كلمة... أو أُلاحظ من ذلك حركة فأتأمل بصيص أمل... وعند متابعتي لذلك الأمر أجده سرابًا في آخر الأمر.... بل أخذت على نفسي أني أركض وراء المجهول.... فقد تعبت دون فائدة وأتعبت نفسي بذلك الركض فأنا لا أتحمل أكثر مما أنا فيه..... وحساسيتي المفرطة زادتني هموما ومتاعب كنت في غنى عنها.... فالأذية التي كنت أتعرض لها بتلاحق مستمر وتتابع مذهل.... تجعل الإنسان في حيرة من أمره مهما كانت رباطة جأشه وسعة صدره..... ونظرت إلى ساعتي فإذا هي تشير إلى الثانية عشرة إلا ربعًا فاستأذنت جليسي في الانصراف على أن نكمل باقي القصة في الليلة التالية.

وانطلقت مسرعا إلى البيت وأنا مثقل بهموم ذلك الرجل وأقفلت سيارتي وتصورت أن أجدها في اليوم التالي مفتوحة الأبواب أو مكسور زجاجها لاسيما وأنه أخبرني أن كل من

يمشي معه لابد أن يتعرض للأذية..... وأنا صرت لا أفارقه ليلة واحدة..... ولكنني أعلم أنه لن يصيبني إلّا ما كتب الله لي.

وفي الليلة التالية:

تقابلنا في مكاننا وبدأ في إكمال قصته فقال:

من جراء الحرب النفسية التي تعرضت لها واليأس الذي أحاط بي أردت أن أخبر الشرطة بالموضوع وهذه الأذية التي استجدت فيما بعد.

وتقدمت بشكوى.... وأوضحت فيها ما يستجد في أمري بعد شكواي السابقة.... وتم التحقيق معي وكذلك مساءلتي عن كل من أشك فيه.... فلم أتهم أحدًا..... وأنا بالفعل لا أدري من قام بتلك الأعمال.. ولا أشك في أحد معين... وطلب مني المحقق إعلامه بصفة خاصة إن كنت أشك في أحد أو أتهم أحدًا.. فقلت له أنا لا أعرف من أين مصدرها.

وكان أملي أن أجد ضالتي عندهم.... لكن لم يتغير في الأمر

شيء بل زادت الأذية أكثر فأكثر..... مما اضطرني للتقدم بشكوى أخرى للشـرطة.... وأشير فيها إلى ما سبق أن تقدمت به إليهم.... ولكن يظهر إنها قد ألحقت بسـابقتها.... وأنـا من واجبي إبلاغهم بذلك..... واسـتمرت الأذيـة والمضايقات أمام المنـزل.... وفي العمل في تسلسـل غريـب.. وتتابع مذهل..... لكنـي بدأت أتعود علـى هذا الحال..... وأتعلم الصبر شـيئًا فشـيئًا وأتدرّع بآيات من القـران الكريم.... وأحاديث نبويـة.... بعد الصلوات وفي الصباح والمساء.... وأعلم علم اليقين أنه لن يرفع عني هذا البلاء الذي أنا فيه..... إلّا رب العالمين...

وفي أثنـاء حديـث العـم سـالم جـاء شـخص كان يجلس مع زملائنـا في المقهى وجلس بجانبي وأخذ يلومنـي في الانقطاع عن جلسـتهم وانقطـع الحديث واسـتأذن العم سـالم وغـادر المقهى وبقيـت مـع ذلك الرجـل الذي بدأ يسـألني عن هـذا الرجل الذي أجلس معه (العم سالم).

ولا أخفـي.... أني خفت منه.... عندما سـألني ذلك السـؤال

فحاولت إبعاده عن الحقيقة.... وأخبرته أنه من أصدقاء الوالد القدامى.... وهناك موضوع زواج يريد مني التوسط فيه.... ولا أدري هل هو مقتنع بذلك أم أظهر لي أنه قد صدقني..... ثم غادرنا المقهى وركب معي في سيارتي فهو لم يحضر سيارته في تلك الليلة وأوصلته إلى منزله ثم ذهبت إلى منزلي.....

وفي الليلة التالية..

ذهبت إلى المقهى فلم أجد العم سالم.... وانتظرت طويلًا فلم يحضر فانتقلت إلى حيث يجلس بقية زملاء القرية وأكملت سهرتي معهم تلك الليلة وعدت إلى منزلي في حوالي الساعة الحادية عشر ليلًا.

وفي الليلة التالية:

قال لي:

لقد قررت الخروج من عزلتي وبدأت أحضر إلى هذا

المقهى وعندها رجعت إلى التدخين من جديد بعد أن انقطعت عنه لمدة تزيد عن تسع سنوات..... وقد ساعدني خروجي من المنزل في الإفلات من الوسوسة والتفكير المستمر في مشاكلي المتلاحقة..... وبدأت أخرج من الخوف الذي خيم على حياتي.... وهدأت أوضاعي بعض الشيء إلا أن إحساسي بهذا الهدوء لم يدم طويلا.....، فقد بدأت أتلقى مكالمات تلفونية من أصوات غريبة فيها من التهديد والوعيد مالا يعلمه إلا الله... وبها من الزور والبهتان ما هو أدهى مما كتبه ذلك المنافق ضمن الرسائل التي كتبها في بداية الأمر.

عند ذلك اتجهت عن طريق صديق قديم لي إلى رجل من رجال الأمن طمعا في مساعدته أو في كف أذيته..... حيث إنه من الناس الذين كانوا يسألون عني أو يرسل من يسأل عني بطريقة متعبة جدًا.... كما ذكرت سابقا بطريقة تشبه التشهير بل هي التشهير بعينه إلا أن مقابلته لنا لم تكن على ما كنت أتأمله... وانطبق عليه قول الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

وخرجت من عنده على وعد مني بزيارته في مكتبه في اليوم التالي إلّا أنني رأيت أنه لا جدوى من مقابلته.... وتوجهت إلى من هو أعلى منه مسؤولية..... وشرحت له وضعي من أوله.. إلى ما وصلت إليه... وقد كانت مقابلته لي جيدة جدًا.... وأحسست بالأمان والاطمئنان.... وأن هذا الرجل هو رجل أمن كفء.... ولقد بذل جزاه الله كل خير.. قصارى جهده للوصول إلى الحقيقة..... وأنا لا أريد إلا الحقيقة..... وكان عندي بعض المستندات سلمتها إليه..... وقد اتصل بي بعض زملائه في اليوم التالي وطلب مني مقابلته..... وفعلا قابلته وشرحت له القصة وكان الآخر أيضًا على قدر المسؤولية..... لقد عمل معي عملا يشكر عليه... وأعاد إلى نفسي بعض الاطمئنان والراحة بالأمن..... لقد عمل معي ما يمكن أن يعمله أي رجل أمن.. بل إني بقيت حينا من الزمن وأنا لا أكاد انقطع عن سؤالهم عني.... وعن أحوالي... وهل لازلت أتعرض لأية مشاكل أو مضايقات وأعطتني نوعا من

الراحة النفسية.. واسترحت فترة ليست بالقصيرة..... وما كدت أنسى همومي وإحزاني تلك.... حتى بدأت تظهر في الأفق بوادر حركات منها..... فلقد سافرت مع بعض الزملاء إلى كل من مكة وجده وفي كل مرّة أترك سيارتي... أجدها مفتوحة الأبواب بطريقة ملفتة للأنظار ولكنني تجلدت للأمر فلا أريد أن يعرف زملائي ما أتعرض له... وإلا لنفروا من الجلوس معي ناهيك عن الركوب معي في سيارتي.... وعرفت أن تلك الحركات هي استمرار لذلك المسلسل الرهيب الذي كان يلاحقني.... ولكن ليس أمامي بعد ذلك إلا الصبر.. وأخذت في تلاوة بعض الآيات القرآنية...

ثم توقف العم سالم عن الحديث ورأيته ينظر إلى ساعته فعرفت أنه يريد الانصراف فاستأذنته على أن نكمل القصة الليلة التالية.

وفي الليلة التالية:

توجهت إلى المقهى فلم أجد أحدًا سوى الجرسون الذي كان واقفا يتدفأ على الجمر الذي أعده للشيش..... فسلمت عليه

وجلست أتحدث معه وأتدفأ معه بجانب الجمر.... فالبرد شديد في هذه الليلة..... وطلبت منه حجرًا وبرادا..... ثم احضرها وبدأ الناس يأتون إلى المقهى.

وبعد قليل أقبل العم سالم فاستقبلته بفنجان من الشاي وجلس إلى جانبي رجل آخر..... فكأنه جلس على راسي.... فأنا لا أريده أن يبقى معنا.... فأخذنا في كلام عن البرد والمطر وما إلى ذلك..... وأحس الرجل بثقل جلسته معنا ثم تحول إلى مكان آخر..... والحقيقة إنه لقد أراح واستراح.

ثم بعد ذلك بحوالي عشرة أيام كانت سيارتي واقفة أمام المستشفى العام فقد ذهبت لزيارة بعض الزملاء المرضى.... فلم أعد لسيارتي إلا وقد صدمت بطريقة كأنها مقصودة.... وادخل أحد الأبواب إلى داخل السيارة وكان من حسن الحظ مرور دورية مرور في ذلك الوقت..... فطلبت منه الوقوف على الحادث... وفعلا قام مشكورًا بالوقوف على السيارة..... وقال لي لابد أن نشعر الشرطة فهي المسؤولة عن ذلك..... لأن السيارة صدمت وهي واقفة فرجوته في إكمال اللازم... وقلت له أنا لا أريد سوى ورقة

لإصلاح السيارة... وليس لدي مطالبة عن من صدمها.... فأنا لا أعرفه... وطلب مني الحضور إلى مكتبه في اليوم التالي..... وفعلا ذهبت إليه في اليوم التالي وإعطاني مشكورا ورقة لإصلاح سيارتي.

وأدخلت سيارتي في إحدى الورش ودفعت عليها أجرًا مضاعفاً لاستعجال إصلاحها..... وفعلا تم ذلك.... وبدأت انتظر ماذا سيحدث لي بعد ذلك..... ولعلك تسأل لماذا استهدف هذا المجرم السيارة بالذات في الفترة الأخيرة...؟.

إن السيارة هي وسيلة الناس للإنتقال والحركة وأذية السيارة بالذات يجعلك تشعر بالأذية باستمرار..... فكل ما أتيت بعد فترة تجد بها صدمة أو كتابة أو كسر جزء منها... يجعلك في نفس الدائرة التي يرسمها لك الخصم.

بعد ذلك بفترة وجدت مع أحد الأصدقاء كتابًا فيه طريقة تحضير الجن وما إلى ذلك..... فطلبت منه إعارتي ذلك الكتاب.... فرفض... وطلب مني القراءة عنده فقط.... عند ذلك أخذت في قراءة وكتابة ما استطيع أن اكتبه من طلاسم وتراتيل وأدعية..... ورسم بعضها.. دون أن يعرف صاحب البيت أملًا أني سوف أجد

ضالتي في هذا الكتاب..... وأن ذلك سوف يكشف لي عن طريق الجـن ذلـك المنافق الـذي تابعني بأذيتـه حينا من الدهـر.....، وجمعت تلـك الأوراق والقصاصات وحرصت على أني اقرأ فيها عندما يكون البيت خاليا من الأهل أو بعد نومهم..... وألّا يكشفها أحـد أو تقع في يد أحد.. من الأطفال... وبـدأت في قرأتها ليلة بعد ليلـة..... إلا إني لم أجـد فيها أي منفعة مما تأملتـه فيها... بل كان العكـس هو الصحيح..... فلقد بدأت تنهال عليّ كوابيس وأحلام مرعبـةً كل ليلة..... حتى تملكني الخوف بطريقة أكثر من ذي قبل وأخشـى النـوم والذهـاب إلى الفـراش وأتعمد المجـيء إلى هذا المقهى واسـمر فيه حتى لا يبقى من الليل إلا سـاعات قلائل..... أنـام فيهـا..... ومـع ذلـك فـأني لا أسـلم مـن الأحـلام المرعبة والكوابيس المفزعة وقد انطبق على قول الشاعر:

المسـتجير بعمر عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبـدأت أتصور إن الجـن هم الذين تولوا أذيتـي بعد ذلك... وبدأت أذيتي تتخذ منحنىً جديدًا وطرقًا مرعبة جدًا.

عندها ذهبت إلى أحد الأطباء المشهورين في الطب العربي

وأخـذ يقرأ عليّ آيـات من القران الكريـم وأحاديث نبوية كنت أعرفها جيمعًا وأقرأها على نفسي باستمرار ولكنني رجوت الله أن يجعـل مع ذلك القاريء بركة..... فهذا الإنسـان معروف بالصـلاح والاسـتقامة.... وكم من أناس كثيرين اسـتفادوا منه بعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

– هل أخبرته بكل ما حدث لك.

نعم أخبرته أني كنت قد قرأت في كتاب كذا وكذا وأخرجت له بعض القصاصات التي نقلتها من الكتاب.... وطلب مني إحراقها وأرشدني أن ذلك شرك.... ينبغي التوبة منه..... ثم قال ربما إنها قد زادت عليك من المصائب التي تتعرض لها.

– هل أخبرته بالقصة كاملة.

– لا..... لـم أُخـبره إلّا بالكتاب وما صـار بعده ونظرت إلى سـاعتي فإذا هي تشـير إلى الحادية عشرة والنصف فاسـتأذنته في الانصراف.

وفي الليلة التالية:

ذهبت إلى المقهى فإذا بالعم سالم قد سبقني وطلب من الجرسون إحضار برادا من الشاي وجلست بجانبه لأصغي إليه وهو يكمل قصته قائلا:

لم استفد شيئًا وعدت أصارع الدنيا بكاملها..... لقد كنت في وضع سيئ للغاية وبعد ذلك سافرت إلى طبيب آخر في مدينة جدة..... واخذ يتلو علي بعض الآيات من القران الكريم هي نفس اللي قراها المعالج السابق وأعطاني أشرطة قرآنية وأوصاني بالتزام الجماعة والصلاة في المسجد وعدم الخلوة بالنفس وواعدني خيرًا..... إلا أن حظي معه... كما هو مع من سبقه..... وبدأت اقنط من الحياة... ومن الصبر.... ومن الناس ومن كل شيء..... بل أني كنت أعتقد أني سوف أرحل إلى مستشفى الأمراض النفسية قريبا إلا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أعانني.... واستجمعت قواي وكانت تلك الأشرطة التي أخذتها منه.... أفادتني في حفظ بعض السور التي كانت مسجله بها..... وأخذت أتهجّد بها في صلاة

الليل وعودتني على الصبر وعلى الصلاة وقيام الليل..... وشعرت أن الأمـل بدأ يعود لي ثانية... وأن الله مع الصابرين..... وأخذت في البحث عن طبيب آخر... فكلما ذُكر لي طبيب اتجهت إليه..... والله سـبحانه يغفر لي.... لقد قابلت منهم أناسًـا كثيرين.... وكل واحـد منهـم يدلـي بدلـوه في هـذا.... حتـى تعبت وعجـزت عن المطاردة.... لاسـيما وإن بعضهم لا أصل إليه إلا بعد وسـاطات ومتاعـب جمة.... غير أني لم ألمس مـن أي منهم أي فائدة.... بل على العكس من ذلك أرى أن مشاكلي تكثر وهمومي تزيد من يوم لآخر في تسلسل مدهش ومرعب.

وأيقنت بعد ذلك أنه لا يسعني إلا الصبر..... وأن كل ما يقال عن هؤلاء هو محض هراء لا فائدة منه..... وأخذت على نفسي في تلـك المطاردة وعزمت إلى عدم العـودة..... والتوبة إلى الله..... بـل أيقنت أنـه قدري وإن صبرت فإن الله سـوف يثيبنـي عليه..... وأمـا غير ذلك فهو إثم.... أسـأل الله أن يغفر لي... وافتكرت عند ذلك قول الشاعر:

لو أن كل كلب عــوى ألقمته حجرًا

لأصبــح الصخــر مثقــالًا بدينار

عند ذلك أطلق زفرة عميقة.... وأخذ يسحب دخانًا كثيفًا وأنا كنت أتابعه بانفعال شديد ثم سألته:

- وماذا عن أذيّة السيارة؟

- لــم تنقطــع..... إلّا أن مــا أنــا فيه الآن أنســاني مــا يحدث للسيارة وغيرها وأصبحت لا أنشد إلّا عن نفسي وعقلي،....

وفي الليلة التالية:

تابع في إكمال القصة وقال:

بدأت أشــعر بعد ذلك بازدواجية في أذيتي..... فتارة أقول إن ذلك من فعل البشــر.... وتارة أعتقد أنه لا يســتطيع أي بشر متابعة أذيتي بتلك الطريقة المذهلة.... ودون أن نحصل على أي أثر يدل عليه.... واختلط في نظري النور مع الظلام.

ومــا انتفــاع أخي الدنيــا ببهجته

إذا اســتوت عنده الأنــوار والظلم

دخلت في دوامة جديدة بأساليب متشابكة..... منها أشياء أعلمتك بها..... وأشياء لا استطيع ذكرها..... مما جعلني أعيش في ظلمات من الخوف وسراديب موحشة من المتاعب النفسية.... أحمد الله سبحانه على أني خرجت منها وأنا بخير.

ذات يوم ذهبت لأجدد استمارة إحدى سياراتي..... فإذا بالموظف الذي يعمل في هذا المجال يخرج ورقة كتب عليها إن السيارة مسروقة.... لا تتصور كم كانت الدنيا مظلمة في عيني في تلك اللحظة... وكم من الإحباط خيّم على بصيرتي.... فتبادر إلى ذهني في وقتها أن ذلك تابع للمسلسل الإرهابي الذي أتعرض له.... ولم أكن أتصور أن أذيتي ستصل إلى هذا الحد وإلّا فما معنى ذلك.... ومن الذي أدخل هذه المعلومة.... وكيف..... وسألت ذلك الموظف.

- أرجوا أن تتأكد من هذا الرقم.... فقد يكون لسيارة أخرى.

- لقد تأكدت ولم أشعرك بذلك إلا بعد تأكدي منه.

- كيف أدخلت هذه المعلومة... والسيارة معي منذ أكثر من عشر سنوات...؟

– هناك معلومات مدونة في جهاز الكمبيوتر تفيد أنها مسروقة.

– وأنا أسألك كيف أدخلت هذه المعلومة...؟

– مما يظهر.. أن هذه المعلومة قد أدخلت من منطقة أخرى.

– وما هو الحل...؟

– أن تسافر إلى تلك المنطقة وتسألهم.

– عند ذلك أدركت أن من ادخل هذه المعلومة لا بد أن يكون له ضلع في أذيتي من أولها..... وأخذت أفكارًا سيئة تنمو في مخيلتي وإني سوف أتابع ذلك..... وبعد استشارة رئيس القسم الذي كان يسمع محاورتنا قال لي بان مدخل تلك المعلومة لم يكن واضحًا.. وإنه لا داعي لسفري.... واستعد بالكتابة رسميا لتلك المنطقة وإكمال اللازم من قبله..... وقد قام مشكورا بعمل اللازم واستدعيت عندهم بعد فترة قصيرة وتسلمت استمارة سيارتي بعد أن انتهى الموضوع وبعد أن تلقيت درسًا من الضغط على أعصابي بطريقة متعبة جدا.

ثم استقل كل منّا سيارته وانصرف إلى بيته.

وفي الليلة التالية:

لـم أصل إلـى المقهى إلا متأخرًا فإذا بالعم سـالم جالسًـا في مكانه المعهود..... وسـلمت عليه وجلسـت بجانبه..... ولكنه في هـذه الليلة.... كان شـاحب الوجـه.... متغير النظـرات... من خلال جلوسـي وكلامي معه..... ألاحظ تغيرًا في لهجة العم سالم وملامـح وجهه..... وأشـعر منه باسـتياء لـم أكن أعرفـه لديه من قبل..... وكان كلامه محسـوبًا.... خيم الصمـت علينا.. قليلًا... ولم يقطع ذلك السكون إلا أصوات الشيش كأصوات الضفادع ثم التفت إليه وسألته:

- كيف حالك...؟

- بخير الحمد الله.

- كأنك متضايق من شيء....؟

- لا أبدًا.

- إني أرى في وجهـك ملامـح لـم أعرفهـا من قبـل..... فهل استجد في الأمر شيء...؟

- لا أبدًا.

- إلى أين وصلنا في القصة...؟

- أي قصة...؟

- لا..... لابـد في الأمر شـيئ..... وكلامك هذا يدل على شي لا أعرفه. فلم أتعود على هذا العبوس في وجهك.

- سحب نفسًا طويلًا وسألني:

- أريـد أن أسـألك سـؤالًا واحـدًا فقـط...، وأنا اسـتحلفك بالله.....

- وما هو...؟

- هل أخبرت أحدًا بما قصصته عليك.

- لا والله أبدا..... فهل تشك فيّ.

- الله أعلم.

- وما الداعي لسؤالك هذا..؟

- بدأت أجد بعض الحالات التي كانت تمر عليّ أثناء الأزمة.

- فحدثتـك نفسـك كثيـرا إننـي بـدأت أنشـر أسـرارك التي

استودعتني إياها ووعدتك بعدم ذكرها.

- نعم لقد حسبت ذلك.

- فأنني والله على وعدي.... ولم أشعر بذلك أحدًا حتى هذه اللحظة ولكن إذا كنت لا تصدقني فلا داعي لإكمال القصة.

عند ذلك استوى جالسا وقال:

- فإذًا... هو قريني أو قرينك.

- ماذا تعني...؟

- إن لكل إنسان قرين من الجن.... ويرى ويسمع كل ما يقوم به الإنسان كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

فهو يسمع كلامنا ثم يذهب لنشره بين الناس.

- يا رجل لا تصدق هذا..... فأنا لم يخبرني قريني بشيء منذ أن عرفت الحياة.....

- أنا لا أطلب منك أن تصدق ذلك أو تكذب.... لكنني قد مررت بهذه التجربة أكثر من مرّة..... ثم بدأ العم سالم يسرد قصصا حدثت له لا أصدقها.... ولا يصدقها عاقل وأنا ذاهل أنظر

إليـه وهو يتكلم بكلام أشـبه ما يكون بالأسـاطير أو حكايات ألف ليلـة وليلة..... وقد تملكني الرعب والخوف وبدأت أفكر بطريقة جدية... فيما يعانيه ذلك الرجل وأرى العم سـالم ينظر إليّ بطريقة مخيفة جدًا.

عندئذ بدأت أفكر في أن الرجل في حاله نفسية سيئة جدًا..

فإما إنه أوشـك على الجنون.... وأن هناك سبب آخر يريد به أن يبعـدني عن موضوع القصة... ويريد التهرب من إكمالها فهو في هـذه الليلة يتكلم بـكلام لا أعرفه..... كمـا أن الرجل بدأ خائفا وأنـا لم أعهـد ذلك منه.... إلا إننـي متأكد أنه يتكلـم بكلام يعرفه هو.. ويعي ما يقوله جيدًا...

- ألم تقل انك لم تستفيد من هؤلاء العرّافين شيء...؟

- بلى هذا صحيح.

- فلماذا تصدقهم في هذه وهم يكذبون في الباقي.

- لا أدري.

- أنت تدري بكل شيء..... ولكنك تريد العودة إلى الخوف

والصراع مع النفس وهذا الشيء سوف يكلفك الراحة النفسية.... وأنا أنصح بعدم العودة إلى ما كنت فيه..... وأخذت أشد في عزمه.... وأرفع من معنوياته..... وأنا في نفسي أعرف إن حالته سيئة جدًا واستأذنته في الانصراف بعد أن أبديت له عدم ارتياحي لتلك الجلسة وما دار بها من حديث.....

وفي الليلة التالية:

ذهبت إلى المقهى فلم أجد العم سالم في المقهى فجلست وحدي وأنا في غاية الذهول من ما قصه عليّ في الليلة السابقة وحدثت نفسي أنه لن يحضر في هذه الليلة..... أما لأنه قد تأكد أن كلامه الذي حدثني به قد حدثت به أناس آخرين... وأنه قد فرط عقد إسراره... وأنه قد ندم على ما قصه عليّ من أمره.... أو إنه قد أصابه مكروه لا قدر الله.... فهو قد ذهب إلى منزله في الليلة السابقة وهو في وضع سيء.. ولكن ذلك الطارق لم يدم طويلا قد قطع هواجسي دخوله من باب المقهى وأتى وسلم وجلس بجانبي والتفت إليّ وهو متكيء على وسادة قديمة موجودة منذ عرفت

ذلك المقهى مبتسما وقال:

- منذ متى جئت؟

- قبل قليل.

- أُعـذرني لقد أسـأت الظن بـك في ليلة البارحـة..... وكأنه بذلك قد أزاح عني هموما كالجبال كانت تخيم على مشاعري.

- أبدًا الموضوع لا يستحق ذلك...

- إنني لا أزال متعباً بعض الشيء.

كلما تذكرت تلك الأيام المرعبة.... أعاني معاناة شديدة.

- إذا كان في سـردك لبقيـة القصة أي متاعب... فأنا لا أريـد زيادة متاعبك.

- رغم أن الموضوع انتهى منذ زمن إلّا إني لم استطع أن أنسى ما مررت به خلال فترة ليست بالقصيرة من عمري ولكن كل شيء منها احتسبه عند الله.

- لقد كنت مندهشًـا من قصـه القرين والجن وهذه الأشـياء التي ذكرتها ولم استطع أن أفهمها لأنها في نظري غريبة جدًا.

– غريبة في نظرك.... ولكن الذي حصل معي أغرب منها.... لقد تعرضت لمشاكل لا قبل لي بها.... ولا عهد لي بمثلها... بعضها كما سمعت.... وبعضها أقل.... وبعضها أكثر..... ولكنني تعرضت لأشياء أغرب منها..... نعم أغرب منها وأكثر وحشية من مطاردة المجرمين... وأخذ الرجل دخانا كثيفًا وهو يقول:

◆ تصور أنك تجد أن هناك أذيّة تتابعك أين ما ذهبت بطرق أشبه بأفلام الرعب والأفلام البوليسية...

◆ تصور..... ثم سكت...

واحسب في تلك اللحظة أن الرجل قد هم أن يقول شيئا خطيرًا.... إلا إنه قد خنقته العبرة قبل أن يكمل..... وقد أحسست في تلك اللحظة أيضًا أن الأرض تمور من تحتي.... وأن الرجل في وضع لا يوصفه بشر... ثم سحب منديلا من جيبه ومسح دمعة كادت تسقط من عينه ثم قال:

◆ لا أدري لماذا.

◆ لا أدري من هو عدوي....

◆ لا أدري ما ذنبي..

◆ إلا إني أتوقع أن قد رُميت بفرية كبيرة...

أو إن إنسانا قد عمل لي عملًا فيه للجن والشياطين طريق.... وهي التي تولت أذيتي....

– أنت الذي آذيت نفسك.... ألم تقل إنك قرأت الكتاب الذي يتعامل مع الجن.. وأخذت منه تراتيل وطبقتها.؟

– يمكن أيضًا...

ثم نهض واقفًا واتجه إلى دورة المياه ثم توضأ.. وجاء وجلس وهو يقول: ينصرني الله فهو نعم المولى ونعم النصير.

عند ذلك أحسست بتعب الرجل واستأذنته دون إكمال قصته فحالته النفسية لا تسمح له بإكمال القصة....

..... إن للظلم حرارة..... والرجل عندما يبكي لا يصل إلى هذا الموقف إلا بعد أن يكون قد فقد كل شيء..... ويئس من كل شيء.... قليلًا ما يبكي الرجال..... لكن أقدار الله تجري على الناس كلهم.... فيحتمل كل منهم على قدر استطاعته وقدرته ورجولته.... ولكن قد تكون الأحمال أكبر من ما يستطيع الرجال

حمله.... وعند ذلك تنتهي كل مقاومة.... أمام تزايد الضغط على قدرات الإنسان الجسميّة والحسيّة..... فينتهي كل شي ء....

وفي الليلة التالية:

عاد العم سالم لإكمال قصته فقال:

كنت بعد صلاة العشاء وأوقات متفرقة من الليل أذهب إلى بيت مهجور أمام منزلي.... لأراقب المنزل وما يدور حوله..... واتخذته برج مراقبه.... واضعا يدي على زناد المسدس إلا إنني لم أرى أي شي يزعج.... أو يدعي إلى الشك خلال فترة المراقبة تلك... التي امتدت إلى أكثر من ثلاثة أشهر....

وذات ليلة وأنا أراقب... يخيّل إليّ بأني اسمع صوت أشبه بصوت قطيع من الغنم خلف الجدار الذي كنت جالسًا بجانبه... فلم أُلقِ اهتمامًا لذلك الصوت من بداية الأمر....،إلا أن الصوت أخذ يقترب حتى حسبت إنه لم يعد بيني وبينه سوى الجدار الذي أسندت ظهري عليه... وعندها أردت أن أتأكد من ذلك الصوت فقفزت إلى خلف الجدار فلم أجد شيئًا... واتجهت إلى أبعد من

ذلـك بعدة أمتار.... فـإذا يخيّل لي أن الصـوت ينطلق من المكان الذي كنت جالسًا فيه.... فانتابني خوف شـــديد وأخذت رجلاي تضرب في بعضها وأنا لا أدري إلى أين أتجه.... ونسـيت موضوع المراقبـة والمنـزل وكل شـيء وانطلقـت مسـرعًا لا ألـوي علـى شيء..... عاقدًا العزم على عدم العودة إلى ذلك المكان....

أحيانًا بعد أن اذهب إلى فراشـي أسمع من يناديني باسمي ثم أخرج فلا أجد أحدًا..

مرّة أخرى عندما عدت إلـى البيت من المقهى رأيت رجلًا عليـه ملابس قديمة جالسًـا قريب من الباب الذي سـوف أدخل منـه إلى بيتـي.... لكن وجهـه إلى ناحيـة الباب فأنـا لا أرى إلا ظهـره.... ووقفت وقرأت آية الكرسـي فاختفى... لكنني عندما دخلـت إلى فناء البيت.... كانت هنـاك طيور تطير أمامي وفوقي وبجانبـي... وبعضها تقع على الأرض أمامـي ثم تطير..... وأنا في خوف لا يمكن أن تتصوره... وحتى لساني كنت أردد به بعض آيات القرآن بصعوبة.

آه..... لـو أشـرح بعض الأمور لما اسـتطعت أن تمشـي وحدك ليلًا.....

مـرّة أخرى عندمـا كنت أصعد أراقب من سـطح البيت كنت أرى امـرأة واقفـة في آخـر السـطح الذي أنا فيـه.... لـم أَرَ وجهها فكانت متجهه إلى الناحية الأخرى.... وكانت تتحرك من جهة إلى أخرى وتارة تغيب... وكذلك تتغير ألوان ملابسـها وكانت تتحرك ببطء مثل من يستعيد مشهدًا بالحركة البطيئة على التلفزيون.....

واشتريت مسدسا آخر وأعطيته ابني.... وطلبت منه أن يكون حـذرًا..... فهنـاك بعض السـرقات التي حصلـت في بعض القرى المجـاورة ويجـب أن يكون عينًا سـاهرة على المنـزل وأهله..... دون أن أعلمه بأي شـي حول الموضوع كما أني وضعت المسدس في غرفة نومي على أهبة الاستعداد وأعلمت زوجتي وابنتي الكبرى بمكانه وأنه جاهز للاستعمال في أي وقت.

وفي الليلة التالية:

قلت له في البداية.... الله يوفقك لا تقص لي مثل حكاياتك في ليلة البارحة... فأنا لم استطع النزول من سيارتي إلا والخوف ينهش كل جارحة مني... وأخذني الخوف من كل شيء...

- لا تخف إذا قرأت آية الكرسي لن يضرك شيء بإذن الله..

ثم بدأ العم سالم في إكمال قصته فقال:

أن الأذية لم تنقطع فقد عادت إلى السيارة.. ولكن ردة فعلي نحوها نفسيًا كانت أخف من سابقتها... فلقد بدأت أعوّد نفسي على ذلك وأعلم إن هذا ابتلاء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه لا يسعني إلا الصبر.

ذات ليلة وأنا جالس في المقهى.... وبعد نهاية السهرة خرجت فوجدت أبواب سيارتي الأربعة مفتوحة بطريقة تدعي إلى الفزع.... وقد بعثر ما بها من أشرطة وأوراق لكنني لم أفقد منها شيء.... وقد خرج معي بعض الزملاء فلم أعط الموضوع

أمامهـم اهتمامًـا كبيـرًا حفاظًا على عدم التشـهير بـي عند زملائي الذيـن أجلس معهـم.... فلا أريدهم أن يعرفـوا عن موضوعي أي شـيء... خوفا من نفورهم من الجلـوس معي..... حتى إنه عندما سـألني أحدهم..... أجبته أنه ربما أن أحد اللصوص قد سـوّلت له نفسـه أنه سوف يجد بها نقود إلا إن ظنه قد خاب.... ولكنني في الحقيقة أعرف تماما إن ذلك هو اسـتكمال لذلك المسلسـل الذي أتعرض له منذ فترة.

وبعـد أن وصلت بسـيارتي إلى البيت كان لابـد لي من التأكد سـلامة سـيارتي فأنـا أخشـى أن يكون قـد وضع بها شـيء آخر أما مخدرات أو خلافها إلا إن أيّ شي من ذلك لم يكن..... وحمدت الله سـبحانه على أنها جاءت على ذلك..... وقاطعته.

– ألم تشك في أن أحد السامرين معكم قد عمل ذلك؟

– بلى لقد دخل شـخصا وطاف بالغرفة التي كنا جلوسـا بها لفترة بسـيطة ثم انطلق وكان يبدوا مرتـبكًا واعتقـد أنه هو الذي عملها أو شـارك في ذلك.

– ماذا عن زميلك الذي شككت فيه من قبل..... ألا ترى انك ظلمته فهذا شخص آخر أنت تشكّ فيه.

– لقد تشتت أفكاري..... وتداخلت أصابع الأذية بطرق مرعبة ومختلفة..... ولم أستطع طيلة هذه الفترة أن أُمسك أي طرف خيط يوصلني إلى المتسبب فيها..... إلا أن زميلي لا أبعده عنها... والله أعلم.

– هل وجدت ما يبرر الشك فيه...؟

– نعم وجدت في درج مكتبه بعد أن ترك العمل معنا أوراق (شبه التقارير اليومية) وكانت بنفس أسلوب الرسائل المكتوبة ضدي في بداية الأمر.. والتي انطلقت منها الشرارة الأولى لأذيتي.. فتأكدت بعد ذلك أنه ربما تكون انطلاقه الشكوى الأولى من عنده والباقي..... ثم سكت

– والباقي ماذا؟

– الله أعلم.... أنا إلى الآن لا أتهمه ولا أبرأه ولكنني أشك فيه بدرجة كبيرة.

ورأيته لا يريد أن يبوح بأكثر من ذلك في تلك الليلة واستأذنته

في الانصراف على أن نكمل القصة في الليلة التالية.

لكنها لم تأت الليلة التالية....

فقد انقطع العم سالم عن المقهى وأخذت أتردد على المقهى في أوقات شتى فلا أجده.... وأجلس بعد صلاة العشاء في مجلسنا وانتظره أوقاتًا مختلفة فلا يحضر..... وأخذت على ذلك أكثر من أسبوع وأنا أقول في نفسي لعل الرجل مسافرًا.... أو شيء من هذا القبيل... إلا أنه.. بعد مرور فترة.... سألت عنه أحد أفراد قريته فقال إنه في المستشفى.... وأخذت منه رقم الغرفة والدور الذي يرقد فيه.... وذهبت لزيارته في اليوم التالي ولكنني لم أجده في سريره..... وسألت رجل كان يرقد في سرير آخر في نفس الغرفة فأفادني إن حالته الصحية قد ساءت فنقل إلى العناية المركزة... قال عنه الطبيب إنه قد أصيب بجلطة.

واتجهت من وقتي إلى غرفة العناية المركزة وإذا بأهل القرية التي ينتمي إليها العم سالم وقوفًا أمام... الغرفة..... وإذا الزيارة ممنوعة عنه.... إلّا إن أحدهم قال لي إن حالته الصحية سيئة للغاية فانصرفت ولم استطع الوصول إليه.... وقلت في نفسي عسى أن تتحسن صحته وأقوم بزيارته غدًا أو بعد غد.....

وفي صباح اليوم التالي تناقل الناس خبر وفاته..... فرحمه الله عليه وأسكنه فسيح جناته.....

رحم الله العم سالم لقد اقتلعته الريح العاتية.. وقد تحمّل كثيرًا.... وصبر كثيرًا.... لكن الريح أقوى منه ومن صبره..... لقد حاول كثيرًا في سبيل معرفة خصمه... إلا إن مشيئة الله تقضي أن يموت دون أن يعرف عدوه... ولله في ذلك حكمة،..... وعند الله تجتمع الخصوم....

عروس للوقت الإضافي

قدمت لؤلؤة في الرحلة القادمة من تبوك إلى مدينة جدة رقم٤٤٩... كانت تعيش عند ابنها عصام الذي يسكن في المدينة العسكرية في تبوك وكانت تنوي البقاء عند ابنتها في جدة لبضعة أيام ثم تسافر إلى قرية قريبة من بلجرشي..... كانت على موعد مع ابنتها وزوجها أنهما سيقابلنها في مطار جدة...

وصلت إلى المطار... كانت عينها تنظر إلى المستقبلين على البوابة الداخلية للمطار لكنها لم تجد أحدًا... وطال انتظارها أمام البوابة فلم ترى ابنتها ولا زوجها... فخرجت من صالة الأمتعة إلى صالة القدوم الكبيرة في المطار... ووضعت حقائبها أمامها وجلست... انتظرت هناك حتى الساعة الرابعة والنصف فلم ترى أحدًا...

هي تعلم جيدا أن زوج ابنتها لا يريد أن تبقى معه في جده ولكنها حريصة على مقابلة ابنتها..... لم تحاول أن تتصل بهم..... لكنها الآن في صالة المطار.... وتحسب في حساباتها..... ربما

قد تأخروا في زحمة الشوارع وازدحام حركة المرور..... لذلك قررت أن تتصل بعد ذلك بزوج ابنتها لكن الجوال كان مغلق..... فما كان منها إلا أن تطلب المساعدة من أحد رجال الأمن وطلبت منه أن يدلها على فندق يكون قريبا من البحر. فسار معها رجل الأمن وحمل معها الحقائب وطلب من سائق التاكسي إيصالها إلى أحد الفنادق أو الغرف المفروشة في حي الحمراء....

عندما وصلت إلى الفندق استأجرت غرفة مطلة على البحر ودفعت له أجرة ليلتين ونزلت لأول مرة لوحدها في غرفة بالفندق..... كانت تعلم كل العلم أنها وإن ذهبت إلى ابنتها وزوجها ستكون ضيفة ثقيلة..... لذلك استلقت على السرير ولم تعد تنشد إلا الراحة..... كانت غرفتها تطل على البحر... فتحت الشباك لتتنسم هواء البحر لكن الجو كان لازال حارًا...

رغم أنها من اليوم السابق لم تأكل شيئا إلا قطعة كيك قدمتها لها مضيفة الطائرة..... إنها تكفيها تلك الليلة.... كانت نفسها مسدودة عن كل شيء ورغم ان الصدمة التي تلقتها من زوج

ابنتها أكبر من قوة تحملها.... لكنها نامت ولم تستفق من نومها إلا بعد الرابعة صباحا...

قامت إلى الحمام وغسلت وجهها ثم صلت من الليل ما شاء الله..... وإذا المؤذن ينادي لصلاة الفجر..... ثم صلت الفجر واسدلت الستارة الداكنة وأطفأت النور وعادت إلى سريرها.... إنها تريد أن تتجرد من القلق والتوتر الذي يختلج في صدرها.

عند الساعة السابعة صباحا استيقظت على صوت هاتف الفندق يسألها إن كانت تريد الإفطار في الغرفة أم أنها ستنزل إلى مطعم الفندق فاختارت الخيار الثاني... ثم قامت إلى حقائبها ولبست ملابسها ونزلت إلى المطعم..

طلبت إفطارها على أنها نزيلة الغرفة رقم ٥٤١ وعندما انتهت من الإفطار لم تكن تريد العودة إلى الغرفة بل كانت تريد الذهاب إلى السوق..

كانت سيارات الأجرة أمام الفندق بكثرة فأخذت أول سيارة

وطلبت من سائقها أن يوصلها إلى الخاسكيه..... لم تصل الساعة الثامنة بعد... وعند وصولها إلى السوق... كانت هناك بوفية كبيرة في أول الشارع. جلست فيها.. وطلبت فيه كاس عصير وجلست تراقب حركة الناس في هذا الشارع الذي يعتبر الشارع الأقدم والأكثر نشاطا في المدينة..

أخذت في السير على أقدامها..... هي لا تريد شراء أي شيء لكنها تريد التنزه والسير بين المحلات التجارية وتمتع ناظريها بما تحتويه تلك المحلات.

لم تكن تحمل مالًا كثيرة معها بل كانت ترى أنها إذا أعجبها أي شيء من تلك البضائع فأنها ستعود إليه في اليوم التالي وطال بها المشوار وهي تطوف وتشوف.

ولم تمل من السير.... واتجهت صعودا إلى سوق العلوي ولم تتوقف وتخرج من السوق إلا بعد أن أذن المؤذن في مسجد المغربي لصلاة الظهر... عندها أخذت سيارة أجرة وعادت بها إلى الفندق...

فتحت ستارة الغرفة لترى السفن المتجهة إلى رصيف. الميناء والخارجة منه.. ثم تعود إلى الجلوس أمام التلفاز. تقلب في الريموت على المحطات الفضائية كيفما اتفق فهي قد سئمت كل القنوات... وبعد أن استراحت في غرفتها بعض الوقت نزلت إلى المطعم..

لم تحاول الاتصال بزوج ابنتها مرة ثانية بل عقدت العزم على أن تبقى في ذلك الفندق عدة أيام ثم تسافر إلى الجنوب..

كانت تنزل بعد العشاء إلى كازينو بجانب البحر.... فالفندق لا يفصله عن البحر سوى الشارع الذي يقع الكازينو خلفه مباشرة..... كانت تذهب إلى مقعد قريب من سياج المنتزه وهي ترى عرائس البحر تلطم في تلك الأحجار الكبيرة التي تفصل المنتزه عن البحر... اتخذت أقصى المنتزه مكانًا لجلوسها.... لكنها كانت وحيدة.. وترى كل مقعد عليه رجل وامرأة... أو رجلين... أو امرأتين... أما هي فكانت جالسة متقوقعة في مقعدها واكتفت بقراءة وجوه الذين يفدون إلى المنتزه وطلبت من النادل بعض العصير ثم طلبت عشاء أيضًا...

كانت ترى كثير من المتنزهين خلف أسوار المنتزه يمشون بجانب البحر. فهمّت أن تقفز من فوق السور أو تخرج من بوابة المنتزه لتسيير معهم... أغراها البحر كثيرً فجلست في المنتزه إلى بعد منتصف الليل.... وبعدها خرجت بجانب البحر تمشي حافية القدمين على أطراف ماء البحر..... كان الموج يلطم رجليها بقوة حتى أنه بلل ملابسها لكنها تريده أن يسحب من قدميها معاناة إمرأة أتعبتها الحياة بعد حرمان من اللذات والتمتع والنزهة سنوات عديدة. فيما مضى من عمرها....

..... وقررت أن تبدأ حياة جديدة من هذه اللحظة وأقامت في ذلك الفندق أسبوعاً ثم قررت أن تسافر إلى القرية.. وفعلا استأجرت سيارة أجرة أخذتها إلى محطة النقل الجماعي وسافرت إلى منطقة بلجرشي وهناك عادت إلى بيتها في قرية مجاورة.....

تزوجت لؤلؤة من خالد أبو ليلى عندما كان عمرها تسع عشرة سنة بينما زوجها خالد يكبرها بأكثر من ثلاثين سنة. كان ضابطًا في الجيش برتبة عقيد وتقاعد بعد زواجه منها بفترة قصيرة وعاشت معه أكثر من عشر سنوات من أجمل أيام العمر.

لكـن القـدر قد خطفه بعد ذلـك... وترك لها ولـد وبنتان هم عصام ومستورة وحياة...

كانت تستلم راتبه التقاعدي وتصرف منه على نفسها وأطفالها حتى كبروا وتزوجوا وكلًا منهم استقل بذاته.

أما هي فقد أفردها الزمان وحدها ورغم كثرة الخُطّاب اللذين تقدمـوا لهـا بعد موت زوجهـا إلا أنها رفضـت..... كانت تريد أن تربي أطفالها وتتفرغ لهم....

و بعـد زواجهـم بدأت تحـس بالوحـدة والغربة عـن الزمان وأهله.... فقررت أن تعود للقرية والعيش بها..

عندما وصلت إلى القرية لم تكن تريد أن يظهر عليها كبر السن أو الترهـل فهي لازالت في عنفوان عمرها الذي أكلت منه الأيام ما لذ وطاب... وأصبحت تكره الأنوثة الباردة والملامح الهادئة...

بعـد عودتها من تبوك شـعرت بالسـعادة والأنس بيـن أقاربها وذويهـا بعـد أن التبسـت الغربة سـنوات طويلة.. وبـدأت في فتح الملفات العتيقة.... وتعدد أولئك الذين تقدموا لخطبتها فرفضتهم

وتـرى إن كل واحـد منهم قد تزوج بامرأة أخـرى إلا أحدهم وهو محمد عباس فهو لم يتزوج امرأة أخرى غير زوجته الأولى..... ثم أخذت على نفسـها أنها لم ترضى به عندما تقدم لخطبتها سابقًا... لكنهـا تـرى أن الموضـوع قـد يكـون متاحًا إلـى هـذه اللحظة... فقررت أن تبحث عنه بطريقة لا يعرفها إلا هي.. فكانت تتعرض له في الطريق.. فطريق بيته من أمام بيتها.... فلم ينتبه لذلك...

عندما رأته غرد له قلبها نعم إنه لا يزال نشـيطًا ليس شابًا..... لكنـه في آخر أيام الشـباب.... وتكررت رؤيتهـا له.. فعمدت على أن تقـف لـه على البـاب عندما كان يسـير بسـيارته من الشـارع.. فوقـف بسـيارته بعد أن تعداها بعدة أمتار ثـم وقف.. لكنه لم ينزل من السـيارة ولم يكلمها.. أكان يخاف أن تبرد كلماته قبل أن تصل إليهـا. أم أن تـردده كان خوفا عليها من الكلام الـذي لا يرحم. ثم انطلق بسيارته مسرعًا لكنها عرفت الآن أنه قد رأها..

خطـرت لها فكـرة الإلتقـاء به فاختـارت إحـدى صديقاتها وطلبت منها أن توصل إليه معلومة عودتها إلى القرية وترى منه ما إذا كان لا يـزال يفكر بها أم لا... وطلبت من هذه المرأة أن ترتب

معـه لقاء في بيت أختـه صفيه... لكن طالت المـدة حتى وصلت إليه الرسالة..

وأخيرًا تلاقيا في بيت أخته فكانت أجمل مما كان يتوقع..

عندما وصلت إلى بيت صفية دخلت في زهوة الفرس الأصيلة وقد سـبقها محمد عباس فألقت التحيـة.. كان صوتًا أنثويا بتناغم رطب.. الشـيء الذي جعل الرجل يمد عنقه عاليًـا ليرد لها التحية ثم أخذ يعدل جلسته وكأنه أمام مسؤول أو وليّ نعمة..

تقول لؤلؤه:

عندمـا التقينـا كان كلامنا من غير قيمة في بدايـة الأمر.. كلام رخيص جـدًا. كيف الحال... وكيف الصحـة... وكيف... إلى ما هنالـك من كلمات لا طعم لها ولا رائحـة..... كانت في موقف لا تحسـد عليه فقد فضلت عليه زوجهـا الأول في مقتبل عمرها رغم أنـه تقدم لها قبلًا منه..... ورغم إن قلبها كان يميل إليه هو بالذات لكنـه النصيـب.. وأواصـر القربى التـي كانت تحكـم علاقتها مع زوجها المرحوم..

كانت لا تدري عنه..... هو لا يزال يريدها أم لا؟ وهل حضر ليـرى ما وصلـت إليـه..... أم لازال راغبا في الاقـتران بها....؟!! لكنها بدأت تدرك أن نظراته. لا تزال تقول كلاما لا يفهمه إلا هي.

نعـم.. إنهـا تدرك إنـه لا يزال يفكر بهـا.... ثم أنها لـم يغيرها الزمـان كثيرًا فهـي لازالت شـابة أو تعدت مرحلة الشـباب بوقت قصيـر غير أنها لازالت جميلة وبهـا من الحيوية والأنوثة ما تجعلها تغرس برأسه ألف فكرة وفكرة. بدأ الكلام معها..

- لازلت شابة يا لؤلؤة.

- شابة..؟... ضحكت...!

- نعم شابة.... أنت شابة في عقلك وجسمك وحيويتك...

- عيونك الحلوة..

- آه... لو... يرجع الزمان....

- كل شيء قسمة ونصيب..

- نعم... هو كذلك..

- الآن أنت وحيدة... أليس كذلك...؟

– لست وحيدة... ولدي وبناتي قد اكتفى بهم عن كل شيء..

– لازلت عاتبًا عليك...

– أدري... لذلك كانت فرصة إنني قابلتك...

– تدرين لماذا عتبي عليك...؟

– نعم.. لكننا قلنا القسمة والنصيب..

– هل تعتقدين أننا سنعود لبعض...

– ربما نبقى أصدقاء في آخر العمر..

– نعم أنت قلتها.. آخر العمر..

– أنا... ما كرهتك أبدًا.

– وما الفائدة..

– لا شيء... كم كنت أريد أن أقابلك وأشوفك..

– أنت على حق. كان من المفروض أن تأتي مني أنا هذه المشاعر... لكنك أقوى منّي وأوفى منّي.. إنني أشكرك.

– منذ متى تقاعدت.

- منذ سنة واحدة.

- الله.... تمر السنين بسرعة...

- عليك أنت..... أما أنا فأحس إنها بطيئة..

- المهم..

ثم عدنا إلى الكلام الذي لا معنى له.....

كما تقول:

كانت ترى أن الجلسة باردة وهي التي كانت تتوقع أن تكون الجلسة أكثر حرارة.. كان يحتضن كلماتها بصمت..... وأخذا في الكلام في أمور شتى لا تخلو من عتاب ومن كلمات طائشة تعبر عن شوق.... وافترقا وهما يحتضنان أشواقًا جديدة لبعضهما لكنها لم تخرج من فم أي منهما.

قالت في نفسها... أن عمره قد تعدى الستين وهي وإن كانت لا تزال في الخمسين إلا أنها جميلة وأنوثتها طاغية وفيها من الحيوية والدعابة ما يمكن أن تغري بها الحجارة الصلبة...

عادت إلى بيتها وجلست في البلكونة تستعيد أحداث تلك

الجلسة وتشعر أن في أرجاء البيت معزوفة فرح وزغاريد ودفوف تضرب من أركان البيت غير أن صوتها لا زال ضعيفًا....

وفي توارد الخواطر.... كانت هناك في الطريق العام القريب من بيتها أصوات أبواق السيارات تشعل الطريق من حولها... إنها عروس تزف في هذه اللحظة..

اللللله..... أيقظت تلك الأصوات في نفسها شيئًا من الفرح وشيئًا من الخوف أيضًا..

الفرح بأن هذه الزفة بشير خير لها..... فقد تفرح هي أيضًا في الأيام المقبلة....

وكذلك الخوف من أن تذهب آمالها أدراج الرياح..

وفي اليوم التالي كان لابد لها أن تغرق نفسها في أعمال البيت والحديقة لكي تخرج من دائرة التفكير فيما ينوي عليه محمد عباس.. وكان أغلب وقتها في الحديقة.. تسقي وتقلم الأشجار وترتب الحديقة..

ذات صباح خرجت لؤلؤة إلى حديقة البيت.. بدأت الشمس

ترسل أشعتها إلى الأرض من بين أغصان الشجر وكأنها تتسلل ببطء لتدفئ الأرض بشعاعها الذهبي وكانت تريد أن تحرك قدميها. كان الباب الذي يوصل إلى الشارع مغلقا..... عندما قرع جرس الباب كانت تظن إنها جارتها لكنها فوجئت إنه محمد عباس... لم تفتح الباب بل وقفت بين درفتي الباب ارتعد جسدها أحست بخوف يلف جسمها وتلعثمت عندما رأته. لا تدري ما الذي جرى لها عندما رأته.

- السلام عليكم..

- وعليكم السلام.. لا أستطيع أن استقبلك.. فأنا وحدي في البيت.. أرجو المعذرة.

- أبدًا.. هذا من حقك.. لكن أريد أن أحدثك بما يجول بخاطري

- - إذا أحببت فلنلتقي في بيت أختك صفية..

- معك حق.. وهو كذلك... ثم انصرف..

وتمر الأيام ولم يتم اللقاء.. غير أن الأمل لازال موجودًا

فالذي أتى به إلى البيت هو الشوق ولابد ما يحدوه الشوق للالتقاء بها في بيت أخته كما وعدها..

إنها ترى أنها تحبه لكنها لا تريد أن يلحقها كلام يستهدف شرفها أو يدنس عرضها.....

أغلقت الباب وأسندت ظهرها إلى الباب وأخذت أفكارها تسبح في الهواء.. هل سيكون الزمان القادم ربيعًا أخضرًا.....؟ هل يعود الدفء إلى قلبها.. هل ستخرج من ألم الوحدة الذي وجدت نفسها فيه بعد زواج أولادها... إن هذا الرجل قد يكون آخر الأحلام المتبقي لها في عمرها الذي أمضت فيه أكثر من نصفه عزباء.

هل هو هذا القمر الذي تتصور أنه سيشرق في سمائها في الزمن الآتي... الله أعلم.

لقد استعادت صورته في صباها عندما كان يرسل إليها أخته تطلب منها الموافقة على الزواج منه.

نعم لازالت صورته القديمة في مخيلتها...

عادت إلى غرفة نومها وجلست أمام تسريحة الغرفة وأخذت قلما وبدأت تكتب كلمات تسحب منها. ذكريات أكل عليها الدهر وشرب..

كانت ذاكرتها تستعرض عشرات الصور التي مرّت بها في القرية قبل الزواج استلقت على سريرها وشبكت يديها خلفها لتستغني بها عن وسادة السرير... كانت تنظر إلى السقف وتقرأ ما يرسمه لها الخيال من ذكريات.. وسارت مع السراب الذي طار بها إلى كل ما تتأمله من محمد عباس.. سمعت صوت المطر فخرجت وكأنها لا تعرف المطر من قبل... أخذت تمشي بملابسها الفضفاضة تحت المطر. لكن البرد قارس. وهي لا تحس به... ففي جسمها ثورة عارمة... لا تدري لماذا.. يعود إليها شعور بخيبة أمل. فالرجل قد يكون يريدها صديقه فقط. وهذه لا تكفي لأن تلطخ سمعتها بالطين.. وكم لها من حاسدين يريدون أن يرونها في المكان غير المناسب..... لكنها لن تسمح لهم بذلك...

أنها تقف من هذا الرجل على حافة الشك. فهي لا تستطيع أن تقبض يدها على شيء.. فالأمر لا يزال مبهما ولا شي يأتي كاملًا.

لازالـت أفكارها معلقة والإنســـان بطبعه يحب أن يرى من يشاركه حياته. والحب يبدأ من فكرة.

أمـا محمد عباس فقد بدأ جرحـه القديم يعتصر وكأن عودتها فتحت الجروح القديمة فقد كان يمنّي نفسه بها في زمن الصبا لكنها ذهبـت وتركته. وعادت في الزمن الذي لم يعد فيه بحاجة إليها.... إلا إرضاء رغبة تتزايد كل يوم.

هـو الآن متـزوج ولديـه أولاد وبنـات وزوجته عاشـت معه أكثـر من ٢٠ سـنة وكل شـيء علـى ما يـرام..... زوجتـه وأولاده وحياته..... غير أنه يرى أن شيئا ما ينقصه منذ أن عادت لؤلؤة إلى القرية. وهو يستطيع الاسـتغناء عنها إذا كان يريد راحة البال..... وأيـن توجد راحة البال مادامت هي التـي تركض خلفه وكان يردد في نفسه (المثل القائل)

(يا عمي.. رزقًا يطلبك ولا رزقًا تطرده..)

هـي الآن وصلـت إليه بعـد أن جبرها الزمـان أن تبحث عنه. ويراها القصيدة العذبة في باقي عمره إنها أنشودة طالما تغنى بها....

لكنهـا جاءت في الوقت الضائع.... الوقت الإضافي من عمره فكل ما بعد التقاعد هو وقت إضافي...

لازالـت أصغـر منه وجميلة جـدًا.. فلمـاذا لا يدخل من هذا البـاب ليرى مـا بداخله إنها حديقة غنـاء فيها من أنـواع الفاكهة ما ترنو له العيون وتسـتلذ منه القلوب.. كيـف وهي قد امتلأت أنوثةً وجمالًا أكثر من أيام صباها..

الناس تكبر ويتغير حلاها

إلا أنت غير الناس تكبر وتحلو

أفكار تذهب وأخرى تتسلط على رأسه وهو حائر... لم يتخذ قراره بعد.

لا شـيء أغلى مـن العمر. فهل يتقدم للـزواج منها أم يصرف النظر عن هذا الموضوع..

حـاول أكثـر من مرة أن ينسـاها فلم يقـدر سـيما وأن بيتها على الطريق الموصل إلى بيته.. ويراها كل يوم تقريبا وكل يوم يراها بصورة في قلبه أحسن مما قبله... لذلك عقد العزم على الزواج منها....

أمـا لؤلـؤة فقـد أوحشـتها الوحـدة وأكلها الصمـت المطبق بيـن الجدران ولم يكن لها أي وسـيلة للترفيه سـوى خروجها إلى الحديقة أو الجلوس أمام التلفزيون..

مـن خلف زجاج الشـبابيك تريـد أن تراه..... كان يسـتطرق الطريق من أمام بيتها وتسأل نفسها.. هل لا يزال لها في قلبه شأن.. أم تغير مع مرور الأيام والسنين..

بعد أن توفي زوجها.. بقيت في تبوك أكثر من خمسة عشر عاما وبعد ذلـك بقيت مع ابنها عصام في تبوك وبعـد زواجه بقيت عنده هناك بعض الوقت.... إلا أنها وجدت نفسـها ثقيلة جدًا على ابنها وزوجته سـيّما وأن الشقة التي يقيم فيها ابنها ليست واسعة فقررت العودة إلى القرية..

والمثـل يقـول... إذا أفلـس التاجـر رجـع يبحـث في دفاتره القديمة..... أحسـت إن العشق عندها له لم ينطفئ نهائيا. لقد أيقظتهـا الوحـدة.... والوحدة قاتلـة.. وكأن قلبها يقـول لها دائما إن هـذا الرجل وحده هو الذي يعنيني.... وسـوف أذهب إليه ولن انتظره إلى أن يأتيني..

عندما أوقف سيارته عند قدومها كانت تحسبه سوف يترجل من سيارته ويلقي عليها التحية. وكانت قد صاغت كلمات عذبه تقولها له.. لكن القدر لم يسمح بذلك فلعل القادم أفضل....

بعد عدة أيام أتت أخته صفية إلى لؤلؤه وأخبرتها أن هناك من ينتظرها في بيتها.... وأن عليها الذهاب معها...

كانت فرصة للؤلؤة ان تستفسر من صديقتها بما يجول بنفسها حول أخيها فهي لا تدري على ماذا ينوي.. فان كان يريد التسلية فهي لن تقبل بذلك.. وإن كان يريد ارتباطا شريفا فذلك ما تسعى إليه.. فأخبرتها أنها ستبحث معه ذلك..

عندما تقابلا هي ومحمد عباس للمرة الثانية في بيت أخته كانت لؤلؤة تريد منه أن يتكلم بأي شيء... لكنه كان يعبث بها بصمت أبلغ من الكلام وأدخلها في حالة من الإرتباك لا تدري ما تفعل.... كانت تنتظر أخته التي ذهبت لإحضار القهوة أن تأتي لتفتح الموضوع.. وهي لا تدري على ماذا ينوي..... أم أنه يريد هذه الجلسة لمجرد الاستمتاع بالجلوس معها وإشباع ناظريه منها... وكانت في تلك اللحظة تلوم نفسها وتحسب أنها تسرعت

كثيرًا في طلب مقابلته... وأنه لا داعي من تكرارها... فقد يظن بها ظن السوء الذي لم تكن تعتقد إنها تقع فيه.... كانت لديها رغبة في استدراجه بالكلام ولكن هناك مقاومة شديدة في نفسها فهي لا تريد أن تبدو رخيصة.. ودارت أفكارها بها وهي جالسة أمامه وتحدث نفسها في صمت دون أن تنبس ببنت شفه...

هل الشعور بالوحدة الآن هو الذي يسوقها إلى محمد عباس..... أم هي الغريزة الإنسانية التي تربط المرأة بالرجل..... وإن كانت هي الغريزة فقد أتت إليها متأخرة لكنها أتت بقوة.....

لماذا عادت إليها ذكريات الصبا... بكل إبعادها الحسية والجسمية وخلعت الوهن الذي عاشت به في البيوت المغلقة وبدأت ترتدي ذكريات شبابها.

هذا من حقها (كانت تقول لنفسها)..... عادت تنظر إلى جسدها الذي اختمر في أثواب الحداد فترة من الزمن لكن الحداد انتهى ولا تريد العودة إليه..

عادت أخته إليهما بعد أن جلبت معها القهوة وبعض

المكسرات فإذا هما صامتان فنشرت كنانتها وفتحت الحديث عن الزواج وطلبت من كل منهما إبداء رأيه في مدة لا تتعدى ثلاثة أيام..

تأخر الرد أكثر من أسبوعين حتى أكل الانتظار قلب لؤلؤه.... ثم خطبها محمد عباس وتزوجها قبل أن تكمل ثلاثة أشهر من بعد عودتها من تبوك...

تزوجت لؤلؤة بمحمد عباس وأسكنته في بيتها في البيت الذي كان صاحبه في رتبة عسكرية أعلى من محمد عباس في رتبته العسكرية وكان فيه من الأثاث الفاخر والحدائق الغناء أمام البيت الشيء الذي يروق لأي زائر دع عنك أن يكون هو وما فيه طوع أمره.....

لم يصلا إلى بعضهما إلا بعد ظمأ شديد لذلك حملت لؤلؤة من شهرها الأول وأنجبت ولدًا ثم ولدا ثم بنتا... ثم أوقفا الإنجاب بعد ذلك.. أما أولادها من زوجها الأول فقد انشغل كلا منهم بحياته الخاصة..

حاولت أن تستميله عن أهله وأولاده واستطاعت أن تلوي

حبالها على عنقه حتى غدى السامع المطيع واستغنت به عن كل الدينا واستغنى بها أيضا عن كل شيء ولم يعد يذهب إلى زوجته الأولى وأولاده إلا أيام قليلة..

بدأ كالمراهق.. إن ما يحسه عندها لا يجده عند الأخرى بل هو أكبر من الأشواق والحنين واليد الحانية العطوف والمنطق العذب والابتسامة الرقيقة..... والرجل تأسره المرأة بحديثها وبدلالها..... فالحياة هي إمرأة....

لكنها جاءت في الوقت الإضافي.... وقد قرر أن يستنفد جميع جهوده المتبقية لتبقى الحياة حية ومتجددة. وكانت هي تقول له دائمًا.. (أنا قسمتي دائمًا مع المتقاعدين).. يعني في الوقت الإضافي.. كما تقول أنت... (عروس للوقت الاضافي)

ارتاحت لؤلؤة من انقياد محمد عباس لها وأخذت على نفسها وعدًا أن تسعده..... فهو الأمل الباقي في حياتها للأنس والسعادة..... بعد أن حرمت منها منذ أن توفى زوجها الأول..... وقد أحسنت الاختيار.. والوقت الذي وصلت إليه فيه.. رغم أنها ترى أنها تأخرت.... لكنها لم تضيع من عمرها كثيرًا. ولم تنتظر

الليل حتى يجيء إليها بسواده وقسوته بل ذهبت إلى محمد عباس في آخر النهار ولم تترك الليل يتوسدها ويبني خيمته عليها..... كما أن زوجها الجديد لا تنقصه الحيوية ولا الثقافة.. بل هو شخص ناضج.. والرجال الناضجين دائما قديرين... بل وفي أحسن حالاتهم العقلية والنفسية..... وقد ملأت الفراغ الذي كان في حياتها في الوقت المناسب..... وكذلك بالشخص المناسب..

وكانت تعلم إن أغلب الرجال دائما يرى أنه يريد أكثر من إمرأة..... والكثير منهم يرى الحياة في اقترانه بامرأة جميلة ومنهم من يبقى على أمل أن يغير فراشه العائلي.... لمجرد التغيير فقط.. ومن النساء من هي كذلك. فبعض الرجال صعب الارتباط به إلى آخر العمر... والدنيا دائما لا تكمل.

أنا معي ورد

مع نهاية السنة الدراسية حصلت مدرستنا على المركز الأول في التحصيل العلمي وبتوجيه من إدارة التعليم في المنطقة أنيط بمدرستنا إقامة الحفل الكبير لانتهاء العام الدراسي وسوف يحضره محافظ المنطقة مع مدير التعليم ورؤساء الدوائر الحكومية ومدراء المدارس وكثير من أهالي المنطقة وأنيط بي شراء باقات ورد لوضعها أمام المحافظ ومدير التعليم على المنصة الرئيسية وفي يوم الحفل ذهبت بسيارتي إلى مزرعة ورد في طرف المدينة أخبرني عنها بعض الزملاء.

عندما وصلت إلى المزرعة وجدت بابها مفتوحًا فترجلت من سيارتي ونزلت... ووجدت أمامي رجلًا يلبس بجامة وبيده محراف يوزع به مصارف الماء إلى أحواض المزروعات مشمرًا عن ساعديه..

كانت أغلب الأحواض بها شتلات ورد من كل الأنواع والألوان في أحواض طويلة لا تريد أن تلفت نظرك عنها..

تحف بالمزرعة أشـجار كبيرة أغلبها غيـر مثمر أما ما بداخل المزرعة ففـيها كثير من أشجار العنب والتـين وأشجار أخرى..

سلمت عليه فاسـتقبـلني بوجه بشوش وعرفت من صوته. وترحابه بي أنه من أبناء المنطقة وقد كنت أحسبه من العمال

الّذين عادة مـا يعملون في المزارع.. أعتقد أن عمره قد تعدى السـتين بقليل..... كان حديثه معي عذبا وأنيسًا إذا ضحك تحس انـه يضحك بـكل جوارحه.... وكانت مزرعته كبيـرة جدًا... لكن أغلـب إنتاجها مـن الورد بل الورود فهي أصناف شـتى.. وتشـعر أنك في وسـط حديقة تملأ العين بهجةً وسـرورًا.. تتخللها طرقات صغيرة من الطوب الإسمنتي الصغير...

كانت في طرف المزرعة غرفتـان اصطحبني إليها عند وصولي إلى المزرعة.. واحدة ينام بها في وقت راحته وبها مدفأة وعلى الجدار صورته في برواز معلقة وهو يلبس البزة العسكرية وقال انظر..

– أنـا تقاعـدت مـن الجيش قبل عشـر سـنوات برتبـة رئيس رقباء..

- أنت مرتاح هنا؟

- نعم بكل تأكيد... الزراعة سعادة.

بجانبها غرفة أخرى كأنها مستودع وبها دورة مياه ومطبخ صغير.

- أنت تعيش هنا طول اليوم..؟

- نعم..

- ومن يخدمك..؟

- الطعام يأتيني به أحد أولادي من البيت أما في الليل فأنا أحيانًا أنام هنا.. وأحيانًا أعود إلى البيت... وبيتي قريب وأشار بيده إلى بيت قريب.. وبالقرب من مزرعته كان المستشفى العام للمنطقة..

كانت غرفته غير مرتبة..... بجانب فراشه الذي ينام عليه ملابس في كل جهة..... وفي النافذة ستارة قديمة ففتحت النافذة فإذا رائحة الأزهار تشرح الصدر وتشفي العليل.. فقلت:

- الله ما أطيب هذه الروائح العطرة..

– هذه رائحة أصلك الطيب..

– مـادام إنـك صاحب المزرعـة فلعلك تراعيني في السـعر.. وأخبرتـه بمـا جئت مـن أجلـه.. وأنني أريـد باقة كبيـرة.. وباقتين متوسطة..

– اخـتر النـوع الذي تريـد أن أقطف لك منه أولًا... فالسـعر ليس سواء..

أعجبتني كل الورود التي كانت في مزرعته... لكن أكثر شـيء فيها الورد الجوري... فقد كانت رائحته وألوانه منعشة وأخّاذة..... وأنا مغرم بالورد الجوري فقال لي بصوت خفيف ونغمة مرحة:

– كم هي فلوسك.؟

– ٢٠٠ ريال..

– ضحك.. إلا هذه.. الـورد الجوري.... غالي ونحن نتعب عليه كثيرًا.... سـقاية ومبيدات... وأشياء كثيرة بالإضافة إلى تعبي أنا.. فلوسك هذه لا تكفي الباقة الكبيرة..

– وأنت سوف تقدم لنا هدية من عندك..

– أنـا أسـاهم معكم..... لكنك أنت شـحيح جـدا..... أنا أبيع باقة صغيرة جدًا أمام المستشـفى بخمسين ريال... لأن وردنا طبيعـي ونظيـف.. وإذا تريـد أن تشـتري أصناف أخـرى فهي أقل سعرًا منها...

– سـوف نأخذ منها جميعًا لكن الأكثرية مـن الورد الجوري وكنـت مصمم على أن لا أشـتري إلا النوع الطيـب ومن أجمل ما أرى...

– هل تريد بوكيه من عندي أم انتم سـتقومون بعملية تنسـيقه وتثبيته..

– لا.... هذه اتركها لنا..

– إذا أنا اقطف الورد وأنتم عليكم ترتيبه في المنصة بطريقتكم الخاصة. وأنا سأساعـدك بالرأي.... ولكن المـبلغ لابد ان يكون ٥٠٠ ريال فانا أبـيع باقة الورد الصـغيرة أمام باب المسـتشفى القريب الذي تراه.... بعد أن أعمل له باقـة من البلاستيك الصغيرة جداً بخمسين ريال.... ومائة ريال أحيانًا...

- أنا وصلت إليك... وأنت وما ترى...

- وعلشان أخلاقك الحلوة ستدفع ٤٠٠ ريال.... ومائة ريال.. اعتبرها مساهمة مني..

- فشكرته وقطف لي من الورد.. ما استحسنته... أخذت من أجمل ما وجدت عنده.... ووضعها لي في سلتين كبيرتين وطلب مني إعادتها له بعد الحفل وأخذت الورد وشكرته.. وعدت إلى المدرسة..

عندما وصلت إلى المدرسة ذهبت مباشرة إلى غرفة التربية الفنية.... فمدرس التربية الفنية الأستاذ وليد.... كان رائعًا.... وكانت لمساته في المدرسة ظاهرة للعيان..... واللوحات التي يرسمها في فصول وساحات المدرسة تنبئك عن أنه يملك حسًا إبداعيا راقيًا جدًا..... وبعد ذلك طلب لنا عدد من الطلاب يساعدونا في إعداد بوكيهات الورد..... كان كلما أعجبته وردة من ذلك الورد.... وخصوصا عندما يكون عودها طويلًا.. يضعها بجانبه.. حتى أنني رأيته قد أخذ أكثر من عشر وردات منها... ونحن بحاجه إلى كل وردة..... فسألته عن ذلك فكان رده دائمًا..

– هذا ما هو شغلك...

– أين تذهب بها..؟

– أنا مستعد أعطيك قيمتها... لكن أترك هذه لي...

– الآن ليس وقتك.... هل تريد تهديها إلى احد..؟

– نعم...

– هـذه لا تكفي الحفل... ولكـن بعد الحفل أذهب أنا وآنت إلى المزرعة.... فانا سأعود يوم غد أو بعد غد إلى المزرعة لإعادة سـلال الورد.... إلى المـزارع.... تعال معي وأنا.... أشـتري لك على حسابي الذي تريد.. لتكون هدية....

– نعم والله... أريد أن أهديها.....؟

– إلى من...؟

– هذا شي لا يخصّك..

– هذا شأنك..... لكن الورد لا يهدي.. إلا لمن يستحقه..

– نعم هذا صحيح..

– خطيبتك..؟

- لم يكتب الله لي نصيب.. هي تزوجت من قريب لها..

- كنت تحبها أليس كذلك..؟

- جدا.. إلى الآن أحبها..

- هل لا زلت تقابلها..؟

- لا..... أبدًا... هل أحببت يا صديقي في حياتك..؟

- لا..

- على كذا كلامي معك عن الحب لن تفهمه..

- علمني..

- هذا فوق مستواك في الوقت الحاضر..... بعدين أعطيك دروس.... ولو أنك لن تفهمها في البداية.... غير أنني سأتولى أمرك وأجري على الله..

يا صديقي الورد هو الرائحة الطيبة والشعور بحلاوة الروح.. أنا فقدت كثير من الأماني التي كنت أتمناها في حياتي وهذه واحدة منها بل أكبرها..

- أوضح لي أكثر...

- كنت أترقب عودتها من المدرسة فأمشي في الطريق المعاكس لها لكي أراها... أحيانًا كنت أقول السلام عليكم وأحيانًا لا أسلم... إنما انظر فقط..

لم أتكلم معها غير أنني أشتاق أن أراها كل ساعة.. كنت أعتقد أنها ستكرهني مع تكرار هذا الجنون الذي يصدر مني... فأنا أتعمد مقابلتها في أي طريق تسلكه... وهذه الحركات من الطبيعي أنها غير مقبولة وهي لا تستطيع الهروب منه.... فالطريق للناس جميعًا..

طالت تلك الحركات التي كنت أقوم بها كالمجنون لا يحمكني شيء... وغدوت أقابلها بدون سلام.. لكن المفارقة الطيبة أنها هي التي غدت تسلم عندما نتقابل.. فعلمت أنها لم تتضايق من جنوني بها..

وهكذا بقيت العلاقة سلام وترحيب ثم تطور إلى ابتسامة مسروقة... وأنا لا ارغب في أكثر من ذلك ومع مرور الوقت.. زاد تعلقي بها...

أخـذت مـرّةً وردة فلم أجـرؤ أن أناولها بيـدي فوضعتها إلى حجر كانت سـتمر من جانبه.. فأخذتها عندما وصلت إليها... وقد لاحظ أخي تلك الحركات..

ذات يـوم رأيتها قادمـة وكالعادة ذهبت لملاقاتهـا وكأني أجُرّ الطريـق إلى جهتي.. والتقينـا وطال الوقوف وكنا نتكلم في أشـياء ليس لها علاقة بما نجد في أنفسنا إلا لمجرد الكلام وفجأة....

إذ بأخـي الكبير قادم من خلفي فأبصرته هي وأكملت طريقها لكننـي لـم أفهم شـيئا إلا بعدما التفـتّ إليها وهي ذاهبـة فإذا أخي الأكبر قادما خلفي وعندما لحق بي....

سـلم علي سـلام تهديد ووعيد وعرفت ذلك من لهجته ومن تقاطيب وجهه ومشى معي وسألني:

- أين ستذهب.؟

- إلى الوادي.

- لماذا..؟

- أريد أن أمشي..

- ما رأيك أن نعود سويًا إلى البيت....

- كما تحب..

وعدنا إلى البيت.... لكننا عندما وصلنا إلى البيت هجم علي مثل الوحش وأشبعني ضربًا لا أعرفه من قبل ثم قال:

لا تعتقد أنني لا أعرف حركاتك... وأنا أراقبك منذ فترة وقد اشتكى أخو البنت من تعرضك لها في كل طريق.... وقد هددني أنه سيؤذيك إذا لم نحسن تأديبك نحن.... وأعلم إن هناك أكثر من شخص يراقبك ولو عدت لما نهيتك عنه ستتعرض للضرب من شخص آخر..... لذلك أرجو أن يكون هذا الدرس يكفيك... ولا تكررها مرة أخرى.

وحاولت أن أُبرر له بعض الشيء إلّا أنه لم يتركني أكمل جملة واحدة..... وقال إذا لم أضربك أنا فسوف تتعرض للضرب من شخص آخر لا يرحمك فأنقطعت عنها ولم أعد أراها إلّا من بعيد.... ويمكن إنها قد تعرضت لما حصل لي هي أيضا من أخيها....

إلا أنني كبرت... وكبر حبها في قلبي وأخيرًا تزوجت من أحد

أقاربها ولم أعد أراها مرة أخرى... إلا أن ذكرى تلك الوردة لا زالت غالية عندي.... ولذلك أنا دائما أحب الورد واشتريه وكأنني أهديه لها.

- هذه ذكرى ليست سعيدة.

- بل من أجمل ذكرياتي.

- أنت تحب الضرب إذا...!

- تلك المرّة فقط... عرفت الآن لماذا أحب الورد...!

- والآن...؟

- تزوجت.... ولا زال الورد أجمل شيء في حياتي..

لا زلت أنا وتلك الطريق كلًا منا يعرف صاحبه..... إني أحب تلك الطرقات وأرد عليها السلام.. وأعتقد أنها ترد علي السلام أيضًا..

- الطريق ترد عليك السلام.؟ يا مثبت العقل والدين يا رَبّ.

وأقيم الحفل في المدرسة وكان لترتيب المعلم وليد وزملائه وتلاميذه ما أظهر على الحفل رونقًا وجمالًا. أسعد الجميع.

بعـد ذلـك طلـب مني أن أذهـب معه إلـى المزرعة ليشـتري ورد... وفعـلًا أخـذ مجموعة من الـورد... لكنه كما قـال لي فيما بعد...: لم يرسلها إلى من يحب... إنما يضعها في كأس به ماء فترة مـن الزمن حتى تذبل ثم يضعها في صندوق صغير ويحتفظ بها ولا يرميهـا.... ثم يذهب إلى المزرعة ويشـتري غيرها.. وهكذا وكان يشـعر في نفسـه أنه أهداها فعلًا إلى من يحب... وكان كلما رأَني في المدرسة يردد قول الشاعر..:

أنا معــي ورد لكن ما معــي موعد..

من يشتري الورد مني لأجل ميعاده

أنا لن أعود إليك

من أجمل أيام العمر لكثير من الناس هي أيام الخطوبة الأولى..... أي الزواج الأول.. وكنت قد خطبت في زوجتي الأولى وأنا في الثانية والعشرين من عمري.. كنت أحب خطيبتي وهي تبادلني نفس الشعور حتى إني ألححت على والدي أن يكتب كتابنا بعد فترة الخطوبة مباشرة حتى يتسنى لي الذهاب إلى بيتهم ومقابلتها..

كنت أذهب إليهم وأقابلها بحضور أهلها.. وكانت تلك الفترة من أمتع الأوقات التي مرت بي في حياتي..

تزوجنا بعد ذلك وعشنا أكثر من عشر سنوات في سعادة غامرة وحياة سعيدة أنجبنا فيها أربع بنات.. وعندئذ بدأ الأهل والأقارب يطلبون مني الزواج.. بحجة أنهم يريدون لي ولدًا يحمل اسمي... وكنت أخاف أن أفاتحها في ذلك..... لكن وتحت الضغوط المتكررة قررت أن أتزوج وعندما أخبرتها بذلك. بدأت تنقلب حياتنا إلى نكد وحصل الخلاف ثم طلبت الطلاق ومع تكرار الطلب منها وكثرة المشاكل بيننا في البيت طلقتها وأنا أحبها.....

وتزوجت الثانية ثم الثالثة والحمد لله قد رزقني الله بثلاثة أولاد ومثل ذلك من الصبايا لكني لا زلت أحبها ولم أجد في الزوجتين من يفهمني وأرتاح معه مثلها.. وفيهن خير كثر والحمد لله..

وهي من عنادها وحرقتها تزوجت مباشرة بعد أن انقضت عدتها مباشرة.. برجل من أهل القرية...

وبعد أن قضت مع زوجها الجديد فترة من الزمن توفي زوجها بعد أن أنجبت منه ولدين..

بدأت أحن إليها بشدة بعد ذلك..... ووجدت إنها فرصة أن أتزوجها فأرسلت إليها بطلبي مع بعض قريباتي إلا أنها رفضت.... فكررت طلبي مع مراسيل كثيرة..... إلا إن الرد كان يأتي سلبيًا.. فكتبت إليها رسالة أُذكّرها بماضينا وأيام صبانا وخطوبتنا وبعض الأشعار... فهي تحب الأشعار العذبة... كتبت إليها:

اشتقت إليك فقادتني أقدامي إلى البيت القديم..

أنا لم أجدك...

لكني وجدت كل شيء يحدثني عنك... وجدت الباب الكبير

مخلوعًـا.. بعد أن تغطى بالغبـار..... قفزت من فوقه ودخلت إلى داخل البيت..

وجدت السـكون يحكم كل ناحية من جنبات البيت..

دخلت ولم انتظر منك أن تفتحي الباب.... ثم ندخل كعادتنا سـويًا.. أخذتني الذاكرة إلى تلك الأيام البعيدة جدًا وبدأت أقرأ في كل زوايا البيت كلمات مكتوبة بعطر مشاعرنا..... لازالت تلك الكلمات موجودة رغم أكوام الغبار وظروف الحياة التي فرقتنا..

وجدت على أحد أوتاد البيت معطفا قديما كنت أراك تلبسيه.. قد التبس أكوامًا من الغبار فنفضت عنه الغبار وشممت رائحتك فيه وأخذته إلى الغسّـال..... وكان العامل في المغسلة ينظر إليّ بنظرة إزدراء.. حيث أنه قديم جدًا... وبعد أن أخذته من المغسلة أخذته وقبلتـه ورفعته في مكان لا يعرفه إلا أنا.... وإن كان الله كتب لنا أن نتلاقى.... أسلّمه لك كأمانة حفظتها لك حتى نتقابل.

وجـدت أيضـا إبريـق الشـاي الـذي كنـت تأتيـن بـه ونحن سـاهرون... كان لونه أسود..... كان على الجمر كما يقال الآن...

وقتها لم يكن هناك أنابيب غاز... لكنني تركته مكانه..... أشياء كثيرة تركتها... وكان بودي أن أُلملم كل شيء وجدته في البيت.... فكل شئ فيه غاليا عندي لأنه يذكرني بك.... نعم لازلت الغالية.... التي لها في قلبي أوسع مكان وسيبقى المكان خاليًا حتى يأذن الله لنا بالرجوع.

نعم لازالت كل الذكريات حروفها واضحة ومدادها لم يبرد.. كنت أتجول في كل ناحية من غرف البيت وأقرأ آثار السعادة التي مررنا بها في تلك الفترة...

فقلت في ذلك شعرا:.....

وجدتك لكنني ما وجدتك.....

ورحت أفتش في البيت عن كل شيء يخصك.. لكنني لم أجد شيء..

فقمت أرد السلام عليك...

والثم جدران غرفتك الداخلية...

. كأني اقبّل يديك..

أنا ما وجدتك في البيت...

لكني أودعت فيه اشـــتياقي إليـــك..

... وكنت أُسلّم في كل ناحية وأزيل التراب...

هنا كنت واقفة تحترين ما بين باب وباب..

تخيلت أنك في كل ناحية تظهرين..

وفي كل زاوية تجلسين..

ومن بين أهداب عيني رأيتك تتبسمين..

.... وأيضًا على خجل تضحكين..

هناك وقفتي..

هناك جلستي..

وهناك التقينا على غفلة من عيون الرقيب..

وأرسلت كفي في راحتيك..

وسلّمت قلبي إليك..

أراك بقلبـي... أتحـدث مـع طيفك الـذي أراه بقلبـي.....

أتخـيل صورتك في كل مكان..

اشـــتقت إليك... أريد أن تكوني معي هنا بعد طول الفـــترة التي غبنا فيها عن هذا المكان.....

أتصورك ما زلت كما أنت في أيام صباك..

أخذتني حالة من الشـــعور العذب..... لتلك الأيام..... وبدأت اســـتعيد شـريط الماضي.. ولكنه كان ملفوف بلفافة من الغبن والمرارة....

.. وكنـت أيامهـا أخافـك أن تتركينـي وحـدي..... وهـا قد تركتني.. سبحان الله..!

ولـم أنس شيء..

وجدت صدى صوتك العذب يتردد في كل مكان..

مسحت الغبار عن ذلك المكان الذي كنت تجلسين فيه..... فأنا اعرفه..... نعـم... كل مكان له ذكرى جميلة... وكل الأماكن ما زالت مرسـومة في ذاكرتي.... ثم أخذت حفنة من تراب الأرض الذي مرّت بها أقـــدامك الحافيـــة.. وذهبت بها إلى غرفة في سطح

البيت... بعد أن وضعتها في إناء زجاجي.. استنشق منه عبيرك كلما اشتقت إليك.... وأدفن فيه يدي... ثم أُقبّل الإناء..

أصدقك القول إنني تزوجت بعدك مرتين لكنني لم أجد الراحة التي كنت أجدها معك.. لم أجد من يفهمني مثلك لكنها الأقدار سارت بنا هكذا.. والأقدار لا يحكمها إلّا الله..

لم أجد من يكتب شعرًا من دون حروف ويلصقها في ذاكرتي غيرك أنت....

لم أتمكن بعد غيابك من الإمساك بقافية تجعل من نثري جملًا أكتبها أو أقرأها بعدك.....

لم أعرف من يقرأني نثرًا أو شعرًا غيرك..

أبحث عنك فلا أجدك إلّا بين سطور دفاتري..

أسأل عنك فلا أجدك إلّا بين جوانحي..

منذ فارقتك.. وأنا أكتبك في كل طريق أمشي فيه... خوفا أن تأتي عليه الريح ثم تذروه في طريق المارة فيضيع مني..... ورغم حرصي.... لكن كل شيء قد ضاع مني...

ثـم وضعـت الرسـالة في ظرف وأرسـلتها مـع ابنتـي الكبيرة وطلبـت منها أن توصلهـا لوالدتها وقلت في نفسـي..: ربما أنها إذا رأت ابنتهـا التي أصبحت في الصف الثـاني الثانوي قد تحن وتقبل خطوبتي..

تقـول ابنتـي إنها عندما قرأتهـا وضعتها بجانبها ثـم قرأتها مرة أخرى ثم قالت لها:

غدا تعالي لتأخذي الرد..

استبشـرت خيرًا وقلت... ربما أنها ستصلي صلاة الاستخارة ثم توافق.. إلا أن الرد في اليوم التالي كانت رسالة تقول فيها:

إن مـا ذكرته عـن أيام الصبـا كان ماضيًا والماضـي لا يمكن أن يعـود.... وقـد عشـناه بـكل أوقاتـه الحلـوة... ولا أذكرك إلا بخيـر..... فقـد كنت نعم الخطيب ونعم الـزوج.. لكنه كما قلت لك زمن وانتهي بحلاوته وغصصه التي اختتمت بها حياتي معك.. إننـي سـعيدة جدا بسـعادتك بتلك الأيـام.. وأفضّـل أن تبقى هذه الذكريـات عذبة ونديّة لقلبك.. لكنها انتهت من حياتي إلى الأبد..

لا أنسى إنني عشت معك أجمل أيام عمري.... وبادلتك نفس الشعور فأزهرت حدائق أنوثتي بين يديك وأخلصت لك إخلاص المرأة المحبة لزوجها الذي ترى الدنيا بكاملها في وجهه..... لكنني وجدت نفسي أخيرا مثل الوردة التي قطفت من نبتتها ثم أُشتم عبيرها ورُميت على الأرض حتى ذبلت..

أنا لن أعود إليك.. فلعل هذه الذكرى تبقى لي عندك.. بصورتها الجميلة التي رسمتها في رسالتك... أما عن المعطف فلك أن تحتفظ به إن شئت.. لك أنت.. أما أنا فلن ألبس معطفا قد خلعته منذ زمن.... تحياتي..... وتمنياتي لك بالسعادة....

أُم سالم

كنت عائدًا من المدرسة بعد نهاية الدوام. وبعد ما خرجت من القرية التي بها المدرسة. رأيت إمرأة أمامها ولدان وبنت يمشيان مع طرف الطريق..... سرت على مهل فلحظت أن إحدى الولدين هو أحد طلابي في المدرسة. فاشّر لي بيده... وعندما عرفني أعرض بوجهه عني... لكنني عرفته...

- ماذا تريد يا سالم..؟

- أبدًا يا أستاذ شكرًا..

- أين ذاهبون..؟

- إلى بيت جدي..

- اطلعوا أوصلكم هناك.

- شكرا يا أستاذ أنت اذهب.. ونحن سنمشي..... وكأنني اسمع أمه تقول.:

-. لن نركب معه...

إلا أنني كنت عازما على مساعدتهم وإيصالهم في طريقي وقلت لها:

يا أم سالم إنا ذاهب إلى هناك. ولن أتكلف بشي فاقتنعت وطلعت في السيارة هي وولدها الصغير وبنتها خلفي وركب سالم بجانبي.

- أنت تعرف البيت يا سالم..؟

- نعم.. إنا أدلك عليه..

سرنا في طريقنا وأوصلتهم إلى البيت الذي يرغبون..... لكنني زاغت عيني إلى المرأة..... فإذا هي جميلة جدًا.... رغم إن ابنتها التي تركب بجانبها قد تعدت الثانية عشرة من عمرها.... بل الثالثة عشرة في تقديري فهي في الصف الثاني متوسط..... أما سالم فهو بالصف الأول بالمرحلة الثانوي.... أما الصغير فكان عمره لا يتعدى ست سنوات..... عدت بسيارتي إلى البيت وانأ في نفسي ألف سؤال وسؤال.... لأنني رأيت المرأة تبكي على طول الطريق الذي سرنا فيه...

وفي اليـوم التالي وجدت نفسـي من باب الفضول أسـأل عن سالم وأجلس معه وأسأله عن سبب ذلك المشوار.

سكت قليلا.. فندمت إني سألته..

– فقلـت إن كان في الموضـــوع أي إحـــراج فـلا داعـي لإن تخبرني به.

– أبدا.... أبي طلّق أمي وطردها وطردنا معها.

– طلقّها..... أو طردها..... ولم يطلقها بعد..؟

– بل طلقها.... وطردها وطردنا معها..

– إذن..... ستسكنون عند جدك كما قلت..؟

– نعم..

– وماذا يشتغل فيه جدك..

– لاشيء.. لاشيء... نحن سنكون عالة عليه...

– هل تريد إن أذهب إلى أبوك فأتوسط في الموضوع..؟

– هو.... لا يريد أحدًا إن يناقش معه هذا الموضوع أبدًا..

– كيف عرفت..؟

- لنا فترة طويلة ولجنة إصلاح ذات البين لم تستطيع إقناعه

- إقناعه بماذا..... (سكت الولد)

- أرجوك اتركني يا أستاذ...

- هل تحتاج فلوس..؟

- لا أبدا.... نحن بخير.... وخالي يرسل لنا فلوس..

- اعتبرني أخوك الكبير إذا احتجت أي شـي إنا أكون سـعيدا بذلك... ثم شكرني وانصرف.

ومـرت الأيام وكانت تلك المرأة لا زالت صورتها في مخيلتي لا سـيما وإنني أنوي الزواج منذ فترة... زواجًـا للمرة الرابعة..... فانـا قد تزوجت بثلاث نسـاء وكانـت الأخيرة من أفضل النسـاء. لكنها بعد الحمل والـولادة بعدد من الأبناء والبنات يصل لأكثر ٨ بين أحياء وأموات أصبحـت ثقيلة وتعاودتها الأمراض وأنا أرغب أن أتزوج...

خطـرت علـى بالـي في يـوم مـن الأيـام أن أذهـب أخطبهـا فذهبت.....

ذهبت إلى البيت الذي أعرفه جيدا.... وطرقت الباب فوجئت بابنها سالم..... فامتقع وجهه وخاف.... وقلت له إنني جاي من طرف أبوه.. لكي أصلح الموضوع.... فأطمأن ورحب بي ودخلت المجلس..... وطلبت منه أن ينادي لي جده.... فحضر جده وجدته أيضًا... ثم بدأت حديثي بعكس ما قلته لسالم.. وإنني لم أحضر من أجل ذلك.... قلت لهم أنني جئت أطلب الزواج من أم سالم.... إن كان هناك قبول.. سأكون بعون الله عند حسن الظن..

وبإذن الله أن أعوضها عن زوجها الأول.... فطلب مني مهلة للتشاور....

وذهبت..... وطال الانتظار ومضى على ذلك أسبوعين..... وبعدها عدت إليهم. فقالوا أنها تريد إن تسمع منك..... وأن تسمع منها.... قبل إن يتم القبول والرفض.

فقلت إن ذلك يسعدني... ولا أرغب إن تتزوجني دون إن تفهمني أو تعرف ما تريد معرفته مني.

كانـت كأنها جاهـزة.... فعندما ذهب سـالم يطلبها إن تدخل كانت كأنها على عتبة الباب.

دخلـت وقد كانـت محجبة وقالت إنني وكما تعلم مكسـورة الجناح لكنني أرجو من الله إن يعوضني في أولادي خيرًا وأنت لك علينا جميل لن ننساه.....

فقـد أكرمتنا بنقلك إيانا مـن قارعة الطريق إلـى هنا..... غير اني أخـاف إن أكرر تجربة الفشـل الذي بدأتـه.... فإن كنت تريدني نـزوة.... فأنـا لا أتحمل أي معانـاة جديـدة..... وإن كنت تريدني زوجة.. فإن شاء الله... إن الله يريك مني ما تقر به عينك (أعجـبني كلامها جدا. وزادني رغبة في الارتباط بها)....

فقلت إنا عندي زوجه وأولاد.. ولكنني أريد الزواج.... وقد يكون هذا الزواج يعوضك الله به عن أيامك الصعبة التي عشتها مع زوجك السابق..

فقالت:

(وعلى ذلك عهد الله)..؟

فقلت (وعلى ذلك عهد الله)..

فقالت..... إنا موافقة..... ولكن أولادي....؟

فقال أبوها:

أولادك أنا أحتملهم.. وأشرف عليهم.. وأصرف عليهم.

فقلت وأنا أساعدك في ذلك... ولولا إن لدي أولاد من زوجتي الحالية كبار.. وأخاف أن يدب الخصام بينهم لأخذتهم معها.

قال أبوها. أبدا هذا الأمر اعتبروه حملي إنا..

عند ذلك قلت بلغة الدعابة...:

ارفعي الحجاب فلعني أراك..... حتى الآن لم أرى وجهك.. فرفعت الغطاء.. فإذا هي جميلة جدًا..... لم أكن أتوقع إن لدينا هذا الجمال وقررت إن أعوضها فعلًا. عن كل شيء.... وأن أجعلها تنسى كل أيام البؤس الذي عاشته..

وتزوجتها. وأعطيتها مهرًا أفضل من مهر البكر.... وأثثت لها شقة في بيتي. وأجلستها مجالس الكريمات وأسعدتها حينًا من

الدهر...

وذات ليلة دخلت غرفتها بعد عودتي من إحدى السهرات فإذا هي جالسة وكانت تبكي.

كنت أعتقد إن والدها قد توفى..... إلا أنها كانت تطلب مني الطلاق...

- لماذا يا بنت الناس..؟

- أولادي ضاعوا. لم يعد أبي ولا أمي يقدرون على سالم وأخوه الصغير سوف يلحق به.... إما بنتي فهي في السن الذي يجب إن أكون بجانبها حتى تتزوج. وأنا أعلم أنك قد خسرت في زواجي كثيرًا.... وإنني قد أثقلت عليك..

- اتركي هذا... حتى أتدبر أمري..

- أريد غدا إن توصلني هناك..

- ما عندي مانع... غدا أوصلك هناك..... ولكن ليس للطلاق كما ذكرت..

- أنت أوصلني إلى هناك وما تقرره أنا أقبله..

- وانأ ما وجدت منك إلا ما يسر.. فلا تستعجلي....

- ولكن أريدك إن تذهب بي غدا إلى هناك..

-... غدًا سأوصلك إلى هناك. إن شاء الله.....

وفعلا أوصلتها..... كانت حامل في شهرها الرابع...

بعد ذلك كنت مهموما فأنا أحببتها ولا أريد أن أطلّقها وهي الآن حامل..... فاستشرت بعض الزملاء..... وأشار عليّ إن اتركها على ذمتي..... وأن تبقى عند والديها وأبنائها... ان أرادت ذلك. وأنا اذهب إليها كلما أردت... فأشرت عليها بذلك فوافقت.....

قمت ببناء غرفة نوم لها فوق بيت أبيها وفرشتها وصرت أذهب إليها في كل أسبوع مرة أو مرتين.

لكن المشكلة إنني كنت عندما اذهب إليها..... كأنني حرامي جاء ليسرق منهم شي ما..... وتثاقلت نفسي وتغيرت نظرات أولادها إليّ.... فانقطعت عنهم فترة... وعدت أسرق الوقت الذي لا يكون أولادها في البيت... ففي وقت الصباح دائمًا

يذهبـون إلـى المـدارس... فاذهب إليهـا..... لكننـي فعلا أحس إننـي ثقيل على البيـت وأهله..... ولدت بابنـي إبراهيم. وفرحت بـه كثيرا. وأعطيتها هدايا لكي تحـس إنني لازلت أحبها..... وإنها لازالت الغالية التي لها في قلبي شأن وأي شأن.....

بعـد ذلك تكررت زياراتي لكنها كانـت متباعدة فاتفقت معها علـى الطلاق وشـرحت لها المعانـاة التي ألقاهـا وكذلك نظرات أولادهـا.... وإننـي محـرج وأعرضها للإحـراج أيضـا... واتفقنا إن ادفـع لهـا مصروف ولـدي ومصاريفهـا وأن كنت قد حسـبت مصاريف إخوانها أيضا..... وطلقتها... وأنا لازلت متعلقا بها.... وفارقتهـا وأنـا أمشـي والتفت إلـى بيتها. ولـم أكن احسـب إنني سأفارقها ولكنها الأقدار... يقول بعض الشعراء.

يا من لعينٍ تلد خلافها والدرب قدام

وإن كان تمّت على ذا الحال يا ما أطول سقامي

وذهب كلٌ منّا إلى حال سبيله.....

عائد من هناك

حصلت على وظيفة في مطار الملك عبد العزيز الدولي كرجل أمن على الصالات الدولية.... وذات يوم وأنا على إحدى البوابات الرئيسية بين المطار وصالات الدخول وإذا بي أرى شابين مكبلين بالقيود قادمين من الطائرة السعودية القادمة من سوريا وعندما اقترب مني أحدهم عرفته...

إنه شاب من زملاء الثانوية فا قتادة عدد من زملائي الجنود وذهبوا به...

كنت أعلم إنه كان ذاهبًا للقتال في العراق أو بلاد الشام.... فهم يعودون بكثرة من هناك... بعد أن يروا الموت بأعينهم... وقد كانوا يفكرونها نزهة..... كنت أعرف بعض الجنود الّذين رافقوه في السيارة وأخذوه إلى مكان للتحقيق معه فسألته عنه فصدق ما كنت أتوقعه....

مضت فترة من الزمن فأخبرت أحد أقاربه أنه موجود في مدينة جدة بالسعودية وأنه يمكن السؤال عنه بالطرق النظامية..

أتـى إلـيّ قريبـه وطلب منـي المسـاعدة في مقابلتـه فقط فلم استطع في المرّة الأولى ثم كررت الطلب أكثر من مرّة...

وبحكم علاقتي الطيبة مع الضابط المسـؤول عني طلبت منه أن يحصل لنا على السماح بزيارته فتم ذلك....

وجدنا رجلًا غير الرجل الذي كنا نعرفه... امتلأ وجهه بالشعر وطال شعر رأسه حتى أني لم أعرفه للوهلة الأولى...

كانـت زيارة خفيفة..... حيث أني وجـدت قريبه هذا في حالة انفعال شديد وكاد أن يضربه..

بعد فترة ليسـت بالقصيرة علمت من بعض زملائي أنه أُخرج مـن زنزانته الانفرادية إلـى العنبر العام وبمسـاعدة أحد الزملاء في السـجن اسـتطعت أن أحصل على إذن بالسـماح بزيارته في داخل السجن.... أريد أن أعلم ما الذي أوصله إلى هنا..

قيل لي أنه لا يريـد مقابلتي فعدت وكررت ذلك أكثر من مرّة وقابلته أخيرًا..

سألته عن أمره فقال:

لا تسألني كيف سافرت لكني كنت مع زملاء كثيرون اتفقنا على السفر إلى دمشق ثم نذهب إلى العراق لكي نجاهد وكنا مقتنعين بذلك..

خرجنا إلى قطر ومن هناك وجدنا من ينقلنا مجانا إلى دمشق.. استقبلنا بعض الإخوة هنا ك... وذهب بنا بعيد عن المدينة فيما يشبه الاستراحة... وهناك نزلنا.. كنا ثلاثة عشر سعوديًا.... كان الطعام الذي يقدموه لنا سيئًا جدًا.... وكانت المحاضرات متتالية عن الجهاد والجنة.. كانوا من الإخوة السوريين والعراقيين... وكان أغلب ما يطلب منا السمع والطاعة للقيادة مهما كانت الأوامر كما دربونا على استعمال بعض الأسلحة التقليدية والرماية وكل أصناف الحروب...

أخذوا جوازاتنا جميعا وأوهمونا أنهم سيحفظونها لنا..... لكنا عرفنا فيما بعد أنهم أحرقوها ووصل العدد إلى ما فوق أربعين مجاهد من بلدان مختلفة... بعد وصولنا بحوالي شهر..... بدأوا بتوزيعنا على المنظمات..... كانوا يبيعوننا بيع مثل الغنم.... كل منظمة تطلب مجاهدين يدفعون لهم قيمتنا ثم يخرجونا كما تباع الأغنام..... ونقلونا إلى الحدود السورية العراقية.....

كانـت مجموعتي عشـرة شـــبان ووصلنا إلى أبو كمـال وأنزلونا وبدأ التدريب القوي المضنـي وأصبحنا نقاتل أناس لا نعرفهم... اللّهم إن هناك من يطلق النار... وعليك أن تقتله واستمر بنا الحال لفترة محدودة..... كنا نخرج للموت كل يوم... ولا نعود كل ليلة كاملين.... لا بد أن يكون معنا جنازة أو جـــنازتين من رفاقنا الذين ذهبوا معنا صباحا..... وبالصدفة وقع في أيدينا أسير... فإذا به أحد الزمـــلاء الذي أتى معنا في نفس الطائرة من الدوحة.....

فعرفت أننا نحارب بعضنا وكلا منا لا يعلم من خصمه..... فقلت له لا تريهم أنك تعرفني وأنا كذلك.. وعندها قررنا الهروب بأي طريقة..

اتفقت مع صاحب السـيارة الذي كان يأتي إلينا بالطعام... أن ينقلنا إلى دمشق مقابل ألف دولار كانت معي وكذلك الساعة التي كنت ألبسها... وفعلًا قام بتهريبنا من الموقع إلى السفارة السعودية بدمشـق... وفي السـفارة تحققوا من أمرنا ثم أرسلونا إلى هنا..... إنهم أنقذونا وأعطونا جوازات سفر بديلة... وهذه قصتي كلها إنها غلطة عمري..... لقد مت يا صاحبي ألف موتة لكن الله رحمني فلله الحمد والشكر...

أم إبراهيم

كنت أذهب بأخوتي إلى الحديقة القريبة من بيتنا وأحيانا ألعب معهم... وأحيانا أراقبهم حتى ينتهوا... ثم أعود بهم إلى البيت..... كانت هناك إمرأة دائما أراها جالسة على إحدى مقاعد الحديقة..... كانت تنظر إليّ بكثرة.. فكنت أنتقل من مكان إلى آخر وأذهب إلى المراجيح مع إخوتي لكي أهرب من متابعتها لي.... كانت أحيانا تنظر إليّ ثم تبتسم... كنت في السابعة عشرة من عمري تقريبًا وكنت وسيما.... ذات يوم اقتربت مني فهممت إن أقوم من مكاني... لكنها أشارت إلي بيدها إن أقف أو اقترب منها فوقفت وسألتني

- أنت إبراهيم حسين.؟

- نعم.

- هؤلاء إخوانك.؟

- نعم

- هل هم أخوتك من أمك وأبوك.؟

- لا..... هم إخواني من أبي.

- أتعرف أمك يا إبراهيم.؟

- لا.

- إنا أمك يا إبراهيم.

- أنتي؟

- نعم أنا أمك.

خفت منها لكنني أحسست في صوتها نغمة عاطفية. لا يمكن أن يكذبها قلبي.

- وكيف عرفتني.؟

- إنني أعرف عنك كل شيء منذ طفولتك. تعال.. ثم ضمتني إلى صدرها وأخذت تبكي وأنا بكيت معها.

- أنت لم تفارقني أبدًا... كنت آتي إلى باب المدرسة التي كنت تدرس بها في الإبتدائية ثم في المتوسطة ثم في المرحلة الثانوية التي بها أنت الآن....

كنت آتي إلى باب المدرسة بحجة أنني أريد إن أصل بإخوانك إلى المدرسة. لأراك..... كنت انتظرك حتى تدخل من

باب المدرسة ثم أعود.

- وهل لي إخوة غير هؤلاء..؟

- نعم ولدين وبنت.... وإن شاء الله إنني أعرفك عليهم.

- هل أقول لأبي هذا الكلام.؟

- أخاف أن يمنعك من مقابلتي أو زيارتي.

- لا تخافي..... أبي لا يرد لي طلب.

- إذا تستأذن من أبوك وغدا سيكون العشاء عندنا مع أخوانك وزوجي الذي سيفرح حين يراك.

عند عودتي إلى البيت عاد أبي من عمله في إدارة الدفاع المدني وأخبرته بكامل القصة.... كنت أتوقع منه أن يغضب أو ينفعل. لكنه أطلق زفرته ثم قال.. جزاها الله خير.

لكن يا ولدي هذا النصيب.... لقد اختصرت عليّ الطريق الطويل الذي كنت أريد إن أفاتحك به.. فهي أمك ولا أمنعك عنها فأنت رجل ومن حقك أن تتعرف عليها. وأن تساعدها إن احتاجت إليك.. كنت لا أدري كيف أشرح لك الموضوع... أمك طيبة يا إبراهيم.. لكنه نصيب وانقطع.. وأنت رجل وتعرف واجبك نحوها..

ليلة مطر

كان عائـدا بسـيارته مـن مدينـة الطائـف إلـى إحـدى القرى المحيطة بمدينة بلجرشي.

كان الجـو باردًا والرياح الآتية من جهة الشـرق تحثو التراب في وجهـه..... كان قريبًا من إحدى القـرى.... الضباب يغطي الأرض أيـن يذهب....؟.... انتظـر في الطريق قليلا كي تأتي سـيارة تنقله إلى بلجرشي ليبحث عن ميكانيكي في اليوم الثاني ليأتي به لإصلاح سيارته.

طال انتظاره بجانب السيارة.... بدأ المطر يتساقط بغزارة..

عاد إلى السيارة وجلس فيها.

إنه لا يعرف أحدًا في القرية القريبة منه. شـعر بالجوع فهو من ليلـة البارحة لم يأكل شـيًا.... فقرر أن يذهب إلـى تلك القرية.... عندما اقترب من القرية. سمع أصوات الكلاب تنبح وتتجه نحوه. لا زال المطر ينزل..... تبللت ملابسه وأهترت حذائه فتركها وغدا يمشـي بدون حـذاء.... اقتربت منه الكلاب لكنه لـم يظهر لها أي مقاومة حتى لا تهاجمه.

في أول بيت في إطراف القرية كانت عجوز واقفة أمام الباب لقد خرجت عند سماعها أصوات الكلاب..... كان الوقت في منتصف الليل تقريبًا. عندما رآها اتجه إليها وطلب منها بصوت مرتفع من بعيد إن تمنعه من الكلاب..

تداعت الكلاب من كل إرجاء القرية.

رأت العجوز ذلك الشاب آتيًا إليها بثياب بيضاء فصاحت له بصوت مرتفع:

- من أنت؟

- أنا غريب تعطلت سيارتي هناك.

- ماذا تريد؟

- أريد إن أذهب إلى أي مكان يؤويني من المطر والبرد..

- تعال جهتي ونهرت الكلاب فتركته...

اتجه إليها. عجوز في السبعين من العمر تقريبا تلبس ثيابا سوداء وعلى ظهرها جلد خروف.

اقترب منها فقالت له:

- من أنت..؟

- أنا من القرية القريبة منكم من قرية آل علي..

- أنت ولد من منهم..؟

- إنا ولد سالم أبو علي..

- أنت ولد سعدى..؟

- نعم - تعرفين أمي.؟

- نعم أعرفها - أُدخل عند النار حتى تدفأ..

دخل الشاب واقترب من النار فكانت بوسط البيت. كان البيت من الحجر وسقفه من الخشب..... والنار في الوسط..

وكان البيت دافئا.... قالت:

اقترب من النار حتى تنشف ملابسك.... كاد إن يقل لها إنه جائع... لكن غلبه الحياء.... كان يريد إن تنشف ملابسه أولًا.

جلست العجوز في الناحية المقابلة له من جهة النار بالقرب منها كان هناك عجينة ففرح وطمع أنها ستعمل له عشاء فهو جائع جدًا.

وضعت الصاج على النار ففرح... ووضعت قرصًا على الصاج وأخذ ينظر إلى القرص بشغف.... لكنها عندما انتهت منه قطعته قطعًا صغيرة ثم وضعت عليه بعض الحليب الذي كان في قدر بجانبها وغرفت من مغراف منه.... وأعطته بعض القطط التي كانت بجانبها... ثم التفتت إليه وقالت اصبر قليلا... ثم بدأت بالقرص الأخر... وكالسابقة أعطته قطة أخرى كانت بجانبها.... ثم القرص الثالث... وهو يتحسر على ما تأكله تلك القطط فهو أشد جوعا منها.

وعندما وضعت القرص الرابع قالت:هذا لك.

لقد ماتت فرحته فقد أتعبه الجوع من جهة..... والانتظار من جهة أخرى...

لم يرى في البيت ملابس ولا فراش إلّا ما جلس عليه وهي على أطراف التنور التي توقد النار فيه.

بعد فراغها من القرص الرابع قامت إلى عكة سمن كانت معلقة في وتد.... في الجدار وأفرغت منه بعضه وسقت به

القرص... ثم أتت بوعاء أخر فيه بعض الحليب ووضعته أمامه... فقالت كل يا ابني فأنا قد أكلت.....

التهم القرص في عجالة وقد كان يعتقد أنه لن يشبع لكنه لم يستطع أن يكمله.

فأصرّت عليه أن يكمل عشاه..... ثم دخلت إلى أقصى البيت وأتت بفرشة قديمة ووضعتها بجانبه... وأردفت عليها جلد خروف.. وقالت..:نام يا ولدي ولعلك دفيت....؟

شكرها ونام حتى الصباح من التعب ومن البرد الذي لحق به.

استيقظ صباحا على صوتها وفي يدها إبريق ماء تطلب منه إن يتوضأ ويصلي الصبح....

كان يريد أن تعمل له قرصا آخر لكنه استحى... وكانت المفاجأة..... التي يقول أنه لن ينساها.... إنه رأى أن الفراش الذي أتت به إليه كان الفراش الذي تنام عليه هي...

وأنها قد افترشت الأرض وتوسدت عقدة برسيم كانت قرب عددا من عقد البرسيم التي كانت تطعم بها غنمها.

توقف المطر وشكرها وذهب إلى سيارته ولم ينتظر طويلا حتى وصل إلى سيارته وعرفه أحد إفراد قريته العابر بسيارته وساعده في إصلاحها ثم ركب سيارته وذهب إلى قريته....

عندما قص القصة على أمه قالت إنها من أقاربها وأنها رغم صعوبة الحياة التي تعيشها... لكنها أكرم من بعض الأغنياء فهي معروفة بكل خير.....

قال: صدقت وأنا شاهد على ذلك....

صفيّة

تنام القرى الواقعة قريبا من مدينتنا في أحضان وسفوح الجبال الخضراء الممتدة إلى الجنوب تكسوها أشجار العرعر والزيتون وبعض أشجار أخرى لا تصلح إلّا للإحتطاب أو لمجرد الاكتساء الشجري لهذه المناطق...

أغلب بيوت هذه القرى القديمة مبنية بالحجر ومسقوفة من أشجار الغابات المحيطة بتلك القرى..

.. طبيعة خلابة وأماكن سياحية لا ينقصها إلا التنظيم والتوسع في إنشاء الحدائق وصيانة المرافق العامة وإن كان هناك بعضا منها إلا أنها لا تكفي..!

إن الذاهب إلى تلك القرى والمواقع في المنطقة المذكورة يجد نفسه منجذبا لتلك الطبيعة البكر... بل يجد نفسه في عالم يفوق عالم الواقع...

الأرض المنبسطة تنام تحت جبل عملاق يشرف على المنطقة وساكنيها... وكأنه يحرسها.

إنك تدرك من نظرك إليه أنه فعلا من أعلى الجبال في المنطقة بل من الجبال الشاهقة التي تشرف على هذه المنتزهات الرائعة.... وتأخذك روعة البيوت التي تتشبث بالصخور في قلب الجبل الكبير والتي تراها عندما يدنو الليل وتضيء أنوارها وكأنها قناديل معلقة في الجبل أو نازلة من السماء.....

.. يلفت نظرك أيضا عندما تقترب من الجبل وقبل الصعود إليه تلك الصخور الكبيرة فوق بعضها. أو قريبة فيما بينها... الصخرة منها أكبر من بيت...

كل شيء هنا لا تدري كم من آلاف السنين قد مضى عليه ولا كم من البشر قد صعد فوقها وكم حضارة شهدت عليها تلك الصخور ومع ذلك.... فإنها تعيش معنا في الزمن الحاضر.. ولعلها تسخر من البشر الّذين يختصمون ويتقاتلون على ملكيتها ثم يتركونها ويموتوا وهي لا زالت كما هي... أحجار ضخمة ومغارات تحكي تاريخ آلاف السنين..

من أمام بيتنا الذي يقع في أسفل الجبل هناك صبيّة أراها تذهب مع غنمها ثم تجلس تحت هضبة تشرف على الوادي ثم

تجمع ما حولها من الحطب وتشعل النار.... لا تراها تطبخ شيئا أو تشوي طيرًا إنما لمجرد إشعال النار والجلوس بالقرب منها... كنت أتابعها مستغربًا من عمل تلك الفتاة وماذا تفكر فيه..

طالت جلسات تلك الفتاه على هذا الحال...

عندما دخلت أمي وأنا جالس في البلكونة انظر إليها قالت:

هذه صفية تزوجت قبل ستة أشهر لكن زوجها حمود تركها وسافر..... لا أحد يدري إلى أين ذهب..... وله الآن ثلاثة أشهر لم يعرفوا له خبر...

من الناس من يقول إنه ذهب إلى سوريا ومنهم من يقول إنه في العراق ولم يعرف له مكان إلى الآن... ولعله قد قتل..... وترك صفية المسكينة على هذا الحال منذ أن تركها وسافر... كان الله في عونها..

- وما دور أهلها..؟

- عندهم أمل أن يرجع..... إنها تحبه..

- وهل ستبقى على هذا الحال...؟

– الله أعلم..... ربك يفرجها يا ولدي.. الصابر له فرج.

– أنا أعرفها يا أمي منذ الصغر.... إنها جميلة جدًا..

– ذهب جمالها يا ولدي ورونقها.. لم تعد إلا أنفاس تتردد في شبح فتاة.. حسبنا الله ونعم الوكيل

... لم تتحمل صفية الكارثة التي وجدت نفسها فيها.. فمرضت ونقلت إلى المستشفى وتوفيت بعد فترة قصيرة.....

رجل أمن

كنت أتعاود مدينة جده لشـراء بعض البضائع من الملبوسات والقمـاش وغيرهـا. لمتجـر والدي الذي يقـع في منطقـة العزيزية في مكـة المكرمة. كان هناك زملاء دراسـة أذهـب إليهم في أوقات القيلولـة... حيـث إن أغلب المحـلات تُقْفل بعد صـلاة الظهر أو بعد ذلك بقليـل.... ولا تفتح إلّا بعد صلاة العصر.. وفي ذات يوم ركبت في الأوتوبيس متجها إلى حي القريات في جده قادما من باب شريف.... وعندما اقتربت من السفارة السودانية التي كانت مقابل محلات وكالة هوندا..

كان هناك شخص يراقبني منذ أن طلعت الأتوبيس..... وإذا بذلك الشخص.. والأوتوبيس واقف.... يهجم عليّ ثم يستوقفني ويصفعني بكف على وجهي بقوة قائلا (وقعت يا عدو الله).....

كنت قوي البـــنية فلم أدعه يرتد يده حتى رددت عليه بصفعـــتين على وجهه... ولكمته على فمه.

ونقلته ورميت به بين الركاب. وهجمت عليه.....

توقف الأوتوبيس وأنا لازلت ألاحقه بالضرب والصفع.. ولم أترك له مجال يرتد نفسه.. حتى قام الركاب وأزاحوني.. عنه وهو يصيح.... لا تخلوه يخرج من السيارة.... هذا مطلوب للشرطة.... ثم انقضضت عليه مرة أخرى.... وضربته ضربًا لم يعرف مثله فيما أعتقد في حياته كلها..... ثم أتى الركاب وأبعدوني عنه..... ونزل أحد الركاب وكان هناك شرطي بجانب الإشارة فاتصل بإدارته وحضرت سيارة الشرطة وذهبنا سويًا إلى الشرطة لكنه ما لبث أن نقلوه إلى المستشفى..

كنت في زنزانة وحدي..... شددوا عليّ الحراسة حتى ظهر لي أنهم أوكلوا اثنين من العساكر لحراستي.

طلبت منهم أن.. يتصلوا على أهلي في مكة ويخبروهم عني.. فلم يستجيبوا إلّا بعد تكرار طلبي عدة مرات..... وفي تلك الليلة حضر بعض أقاربي من مكة ولم أستطع مقابلتهم..... فأنا في نظرهم المجرم الأكثر خطرًا في السجن..... كما نقل لهم ذلك الرجل.... لكنني استطعت أن أخبر أقاربي الذين حضروا عن

طريق بعض العساكر إنني بخير.... وإنني لا أعلم كيف صارت هذه المشكلة..

في اليوم التالي أتى إليّ وكيل رقيب وطلب مني أن أجاوب على أسئلته فرفضت.... وطلبت مقابلة مدير الشرطة... ثم أتى إليّ بعد ذلك ملازم أول ورفضت أن أتكلم معه.... وأخيرًا... أتى إليّ مقدم... وهو يقول أنا مساعد مدير الشرطة.... لماذا لا تتساعد مع رجال الأمن...

- لا أريد أن أتكلم مع أحد.... إلا مع المدير...

- أنا مساعد المدير..

- أنت مساعد المدير...؟..

- نعم ماذا تريد أن تقول..:

- أقول أن هذا الرجل هجم علي وأنا راكب في الأوتوبيس وقصصت عليه بقية القصة..

- لماذا تضربه..؟

- هو الذي ضربني..

- لكنك ضربته ضربًا مبرحًا.... وهو الآن في المستشفى...

- وأنـا.... لماذا لم يأخذني أحد إلى المستشـفى.. فأنا تعبان أيضًا

- من أين أنت..؟

- أنا من مكة..

- ماذا تعمل هناك..؟

- رجل أمن..

- رجل أمن؟

- نعم.. وهذه بطاقتي..

- ومتى نزلت من مكة..؟

- أمس بعد الظهر يوم الأربعاء.. بعد الدوام..

- حسبي الله ونعم الوكيل.... هذا الرجل من المتعاونين معنا وقد اشتبه في صورتك.....

- لكنه ضربني ضربة أعمتني...

- بل أنت ضربته حتى رأى الموت بعينه..

– هو الذي بدأ...

– لابـد أن نتأكـد أنك رجـل أمـن..... نحن لدينا شـخص يشـبهك.... مطلـوب للشـرطة وقـد كان يعتقـد أنـك أنـت ذلك الرجل...

– ما عندي مشكلة..

وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات إذ بالمقدم يستدعيني وقال:

– تأكـد لنا مـن الإدارة أن كلامك صحيـح... وأن الرجل قد اشتبه فيك..

– وكيف آخذ حقي منه؟

– أنـت قـد أخذت حقـك.. وحـق غيـرك.. الرجـل حصّل ضرب ما يعرف مثله... لكن... أنت إذا تدّعي عليه بشـي فهذا من حقك.... وإن تقبل مني..أن تسـامح وهو يسـامح.... وينتهي كل شيء وأنت ما شاء الله عليك كسرته.. وأعطيته درس ما ينساه..

– طيّب.... أول شيء هو يتنازل.... وأمامي هنا في مكتبك.... أو نذهب أنا وأنت إلى المستشـفى ويتنازل أمامي.... ثم بعد ذلك

أتنازل أنا.. فوافق وقال دعني أرسل له من يقنعه بذلك ثم أذهب أنا وأنت إليه...

- وهو كذلك...

وبعد صلاه العشاء ذهبت أنا وذلك المقدم وتم التنازل....

وتم إطلاق سراحي...

مدير المدرسة

عندما عملت في أول وظيفة رسمية لي كنت مدرسًا. وكنت المدرس السعودي الوحيد في تلك المدرسة..... وكان المدرسين الآخرين من زملائنا الإخوة العرب..... لذلك استلمت إدارة المدرسة.... وأنا لا أعرف من الإدارة شيء..... إلا أن الزملاء ساعدوني وكان أحدهم مراقب المدرسة..... ويقوم بعمل المدير والمراقب....

ذات ليلة كنا في دعوة للعشاء عند أحد أهالي القرية وكانوا.... يقدرون المدرس ويقدموه في المجالس والأعراس... كان في المجلس رجل كبير في السن قد تعدى ١٠٠ سنة تقريبًا وأراهم كلهم يقدرونه ويحترمونه.... وعلمت بعد بذلك إن أغلبهم أبناءه وأحفاده.... لكنه كان محتفظًا بصحته... وكان المتحدث في الجلسة والبقية يستمعون إليه.

حتى أن بعضهم إذا أراد الكلام.... فإنه يبدأ بالإذن منه في الحديث.... رآني وأنا بين زملائي ألبس الثوب الأبيض والغترة

والعقال. أما بقية الزملاء فهم يلبسون بنطلون وتيشيرتات أو قمصان.. فأخذ يحد نظره إليّ وأنا أتحاشى إطالة النظر إليه. فجأة سألني..... أنت يا ولدي من أي منطقة..؟

- قلت من منطقة كذا.

تعرف رجل اسمه سالم بن سعيد... هل تعرفه..؟...

فقلت نعم.....

قال هذا الرجل أنا لي عنده دين.. ولابد أن أحصل عليه منه..

فسألته عن ذلك الدين...

وقال.::

- دين لابد أن يسدده....

- أنا أسدده عنه إن كنت أقدر...

- بأي صفه تسدد عنه..؟

- أنا أعرفه.... وأعرف أنه سيدفع لي إن سددت عنه...

- قصدك تسدد عنه الدين لوجهه الله...؟

- احسبها كذلك...

– أنت تعرفه تمام المعرفة...

– نعـم.... وأنـا... أعتقد أنه غيـر محتاج... فكيف اسـتدان منك..؟

– تقول إنك تعرفه حق المعرفة...

– نعم...

– أين هو الآن...

– انتقل إلى رحمة الله..

– الحقـيقة أننـي أنا مديون لهـذا الرجل. إن لـه عليّ دين لا أنساه...

– دين في ماذا...

– هو دين.... أو معروف... عمل إنساني قام به نحوي... ولن أنساه له..

– ألم تقل أن لك عنده دين..؟

– كنـت أريـد أن أتأكـد بمعرفتـك له.. لكـن الواقـع إنني أنا المديون له بمعروف أسداه لي....

- كيف..

- لا تسـأل.... إنه إنسـان فاضل ولن أجازيه عليه... لكن الله وحده هو اللي يجزيه عليه....

- إنه جدي....

- جدك أنت..؟

- نعم جدي..

فقـام الرجل مـن مكانه وأتى إلـي يحتضننـي ويقبلني ويقبل راسـي أمام كل الحاضريـن ثم أخذ بيدي وأجلسـني إلى جانبه ثم قال:

يا أولادي.... جد هذا الرجل له عليّ دين لن أنساه وأرجو أن يبقى معروفًا لديكم أيضًا.... وهذا الولد أنا أعتبره مثلكم تماما وفي مقام ولدي.. ثم قال..:

أنا أعلمكم جميعا بالدين الذي له عليّ..

كنـت أعيش مـع والدي في مكـة وكان لوالدي محـلًا تجاريًا هنـاك.... كان والدي مريضًا..... ثم توفى.... وبمسـاعدة أصدقاء

والـدي وجيرانـه... بعت الـدكان وقبضت ثمنه ولـم يعد لي أحد هنـاك..... فقـررت العـودة إلـى بلجرشـي وكان جـد هـذا الولد تاجر.... يأتي إلى مكة باستمرار يشتري بضاعة....

و لمـا علم أصحاب المحلات المجـاورة لدكاننا الذي بعناه بقدومه إلى مكة... طلبوا منه أن يأخذني معه إلى بلجرشي..

وفعلا سافرت معه... وبعدما تعدينا الطائف في قافلة من قبائل كثيرة..... كان معي فلـوس كثيرة..... وقد لاحظ بعض أصحاب الجمال في القافلة.... الفلوس التي أحملها.....

كانوا يتهامسون بينهم..... وأنا خفت منهم.. فضمني جد هذا الرجـل بجواره وقال لا تبتعد عنـي.... كان قوي البنية في الأربعين من عمره واقترب مني وقال..

- أنت من أي قرية..؟

- من قرية بعد بلجرشي....

- معك فلوس..؟

- معي كثير...

– أنا وأنت سوف نتأخر عن هؤلاء ونحاول أن ننام في إحدى القرى القريبة... حتى يذهبوا..... وفي الصباح سنجد قافلة أخرى ثم نسير فيها...

– كنت أنا أفكر في هذا الموضوع أيضًا..... أليس لديك بضاعة مع أصحاب هذه الجمال..؟

– بلى..... أنا سأطلب منهم أن يوصلوها لي إلى بلجرشي.... إنهم يعرفوني..

– توكل على الله..

وفعلا مررنا بإحدى القرى وأمسينا هناك..... وأعطينا صاحب البيت نقودًا كي يعمل لنا عشاء.... وفطور نذهب به معنا....

في الصباح كان قد عمل لنا خبزًا نتزود به في الطريق.... ومشينا..... بعد أن تأكدنا أن أصحاب الجمال قد ساروا بعيدا عنا..

وبعد ثلاثة أيام وصلنا إلى قرية قبل بلجرشي هي قريته

وأمسيت عنده تلك الليلة.. وبعد إفطاري في اليوم التالي قال لي..

أنت الآن وصلت.. خذ الطريق العام حتى تصل إلى بلجرشي... ثم اذهب إلى قريتك.....

سألت عنه بعد ذلك فقيل له إنه سافر إلى الطائف واستقر به المقام هناك.. وهذا معروف لن أنساه له هذه قصتي مع جد هذا الشاب أرجو أن تحفظوا هذا الدين فالمعروف دين يا أولادي...

لم ينجح أحد..

كانـت هذه العبـارة نجدها في الصحف أو نسـمعها في الراديو عندمـا تعلـن نتائج الإختبـارات في المـدارس الحكوميـة وكانت مدارس بكاملها يعلن عنها المذيع.... لم ينجح أحد....

لـم ينجح عبد الرحمن في اختبار المرحلـة الإبتدائية مع باقي زملاء الصف السادس في مدرسة الحمداني الإبتدائية...

عندمـا كان يسـير في طرقـات القـرية يـرى أن كل الناس وكل حجارة الأرض والجدران.... تردد عليه تلك الكلمة..... لم ينجح أحد..

كان لديـه أخوين سـلمان ومبارك.... وهمـا متزوجان..... سـلمان يـعمل في الشـرطة أما مبارك فهو فلاح وكان عبد الرحمن مسـاعده ورفيقه في أعمـال الفلاحة بعد عودته من المدرسـة.. أما والده ووالدته فقد توفيا منذ زمن.....

أخوهـم الكبير عيسـى كان يعيش في مدينة جـدة وكان يملك

منـزلًا في مدينة الفهد ولديه بقالة في الدور الأرضي من العمارة غير أنه ليس له أولاد ولم ينجب رغم مرور فترةً طويلةً على زواجه...

في اليوم التالي قرر عبد الرحمن أن يترك القرية ويسـافر بعد أن استأذن أخويه ليلحق بأخيهم عيسى... في مدينة جدة.....

وصل عبد الرحمن إلى جده واستبشـر به أخوه عيسى وأنزله منزلـة الوالـد لابنـه.... علمه البيع والشـراء وغدى عبـد الرحمن ماهرًا في التجارة في فترة قليلة....

كانت هناك مسـاحة صغيرة أمام دكان عيسـى... يجتمع فيها مع بعض الجيران يتسامرون فيها بعد صلاة العشاء....

حـاول عيسـى أن يقنـع عبد الرحمن بالدراسـة في المدرسـة الليلية.... إلّا إنه رفض إكمال الدراسة...

كانـت إحـدى رجلي عيسـى قصيـرة.... وإذا ما مشـى ترى العرجة في رجله.. لذلك أسعده مجيء عبد الرحمن إليه ليسـاعده في الدكان..

أحيانًا.... وأثناء السهرة أمام الدكان.... يكون الشـاهي..

يأتي من البـــيت المجاور لبيت عيسى... بيت صلاح أبو حسن....

كان صـلاح أبـو حسـن يطلـب من عبـد الرحمـن أن يحضر الشـاي مـن البيت وكان عبـد الرحمن عندما يذهب إلـى بيت أبي حسـن يجد فيه زوجته الجميلة الشابة فهي أصغر من زوجها بكثير ولا تتعدى الخامسـة العشـرين من عمرها.. وكان عبد الرحمن لا يتعدى الرابعة عشرة حينئذٍ...

لـم يعتاد عبد الرحمن أن يشـاهد مثل هذا الجمـال في القرية التي أتى منها... لذلك كان يذهب مسرعا لإحضار الشاي..... كانت أم حسـن عندما يذهـب عبد الرحمن ليأخذ الشـاي تلاطفه وتحـب الحديث معـه وهو كذلك يحـب أن يبقى عندها ويسـمع منها وكأنه لم يعرف النسـاء ولم يتحدث معهن من قبل... وكانت اللهجة الحضرية تأسـره والكلام العذب يدخل إلى قلبه مباشرة.. وكلا منهما قد استلطف صاحبه....

وتمر الأيام..... ويكبر عبد الرحمن.....

توفى العم صلاح أبو حسن..... وكانت زوجته أم حسن تحب

أن تـرى عبد الرحمن..... وإذا نظرت من الشـباك فرأته لوحده في الدكان.... نزلت تشـتري ما تحتاجه من البقالـه.... وكانت تتأخر عنده.....

كأن الـذي ألـمّ بهـا قد ألمّ بـه أيضًـا.... فهو علـى بداية عمر المراهقة..... وهي لا زالت شـابة.... كانت تسـتلم راتب زوجها المتقاعد بعد موته.... ولديها منه ولد وبنت.. وقد كتب أبو حسـن البيت باسمها قبل أن يموت.... هي وأولادها.....

بـدأت تطلـب من عبد الرحمـن الذهاب بهـا أو أحد أولادها إلى المستشـفى..... ويذهب معها عبد الرحمن إلى الشارع العام ويذهب بها بسـيارة أجرة إلـى المكان الذي تريـد.... ومن القلب إلـى القلب رسـول.... حتى إنه غدا يذهب بهـا ويقفل البقالة دون أن يخبر عيسـى بذلك... وتعمقت الصداقة بيـن عبد الرحمن وأم حسـن.. ولاحظت ذلك زوجة أخيه عيسـى..... وأخبرت عيسى بما رأته من تقارب بين عبد الرحمن وأم حسـن... وإنها تأخذ جل وقته..... بحجة الدكتور تارة أو النزهة تارة أخرى....

ذات يوم رآهما عيسى بأم عينه.... فقرر أن يعود عبد الرحمن إلى القريـة..... لكن عبد الرحمن لم يقتنـع بذلك وخرج غاضبا من الدكان ولم يعد....

كان عيسـى يسـأل زوجته كلما عاد إلى الشقة... ألم يعد عبد الرحمن...؟

وكان الجواب دائما بالنفي...

- أنت طردته من الدكان...؟

- أنـا من خوفي عليه من هـذه المرأة.. طلبت منه أن يعود إلى القرية..

- يمكن كان كلامك معه قاسيًا..... لقد أصبح رجلًا..

- أنا حاولت أحميه من أم حسن...

- لما لا تزوجه إن كان يرغب الزواج منها..؟ وتسـاعده بدلًا من طردك له.. وهو كما تعلم يساعدك في الدكان..؟

- إنها أكبر منه..

- إن كان يريدها فلن تستطيع أن تمنعه..

– قلت لك أكبر منه..

– هـي في ما رأيت تحبـه.. والمرأة اذا أحبت أسـعدت.. هي كانـت مع ذلـك الرجـل العجـوز ولعلها لـم تحس بالسـعادة مع شخص يمكن إنه أكبر من أبوها..

– وسوف يعوضها عبد الرحمن الله يوفقه..

– لم لا... هي تريده وهو يريدها...

– لا أدري كيف تفكرين.. الله المستعان..

– هو الآن يطلع إلى شقتها وهو رجل غريب... لا تتركه يغلط معها غلطةً كبيرة.... زوجه إياها... والله يهني سـعيد ب سـعيدة.. وأنت ترتاح..

– والله إن في كلامك شيء من المعقول..

– بل كلامي الذي قلت لك هو المعقول..

– طيّب... بس هاته يرجع..

– بيرجـع... أنـت حسـن كلامـك معه وأتـرك لغـة التهديد والوعيد... فأنا ظهر لي أن بينهما ود..

– أنت من متى تراقبينهم..

– من زمـان..... (الله يوفقك يا عبد الرحمن).. أنت قول يا رب وعسى الله يهنيهم..

– توكلنا على الله..

لـم يعد عبـد الرحمن إلـى البيت وبقـي يوميـن لا يبات عند عيسـى وفي اليوم الثالث شاهده وهو متجه إلى بيت أم حسن فناداه وقال له:

– أين ذهبت..؟ لك يومين ما رجعت إلى البيت..؟

– في أرض الله الواسعة.. (كان زعلان)..

– لعلك زعلت مني عندما طـلبت منك العودة إلى القرية...؟

– القرية لن أعود إليها...

–... وبـأي صفـة تطلـع عند هـذه الأرملـة.... وأنـت الآن أصبحت رجلًا...

– إني أريد أن أوصلها إلى السوق...

– هل تحبها..؟

- لماذا تسأل..؟

- كذا..... إذا أنها أعجبتك تزوجها...

- أنت تقول هذا..؟

- نعم.... هي أكبر منك سنًا لكن.. أنت واختيارك....

- نعم أريد الزواج منها.. وقد اتفقت معها على كل شيء..

- ومن يصرف عليك..؟

- أنا وجدت وظيفة في البنك... وسوف أباشر من الأسبوع القادم.. وأنا سأصرف على البيت من راتبي..

- أخاف إنك تندم بعدين....؟

- لن أندم أبدًا... أنت ما قلت هذا اختياري..

- نعم قلت ذلك..

- إذا.... هذا اختياري

- كم طلبت منك مهرًا..

- لم تشترط عليّ.. بل قالت اللي يجي منك أنا أقبله..

- وأنت كم تريد أن تعطيها..

- ما أدري.. يمكن خمسة آلاف..

- هذه عليّ أنا... وغيرها..؟

- ما فيه شيء ثاني..... كل شيء جاهز..

- وستبقى عندها في الشقة..؟

- نعم... كذا اتفقنا..

- والعشاء ليلة العرس عندي..

- اتفقنا أننا لا نقيم حفل..

- يعني.. مناسبة صغيرة وندعوا بعض الجيران..... حتى نشهر الأمر بين الجيران ويعرفون إنك متزوجها... على سنّة الله ورسوله..

- قام عبد الرحمن يقبل رأس عيسى ووجهه ويديه ثم قال... أحسب إنك سوف تتخلى عني.... وأنا ما ودّي أفارقك..

- يا رجل أنت من رائحة الوالد والوالدة.... كيف أتخلى عنك....؟

- إذًا أروح أقول لها...

- حاول أن يتم الزواج في هذا الأسبوع...

- لو تريد الليلة.. أنا وأم حسن جاهزين..

وتزوج أم حسن ثم التحق بوظـــيفة في البنك..... وبقي عيسـى في مقام والده.... حتى أنجب عبد الرحمن وأم حسـن.... ولديـن..... بينمـا... لـم يكتب الله لعيسـى ذريـة.... فكانوا هم الذرية الصالحة بالنسبة له..

بدل فاقد

أمام منزلنا كان هناك حديقة كبيرة يجلس فيها كثير من أمثالي كبار السن فأنا في الواحدة والستين من عمري.

حول الحديقة ممشى للذين يمارسون رياضة المشي. وكان الطريق الذي نسير فيه بعرض أربعة أو خمسة أمتار موازيا لسور الحديقة.... وكنت آتي إلى الحديقة كل يوم.. فأنا أحب أن أمارس رياضة المشي حول الحديقة..

ذات مرة كنت أمشي وحدي وتأتي بعيدًا عني إمراة تمشي بمفردها أيضًا.... وكان معي إفطار خفيف.... ساندويتش مع عصير وماء... وعندما سارت من أمامي دعوتها لتشاركني إفطاري.... لكنها شكرتني ومضت.... تمشي..

في اليوم التالي دعوتها لتشاركني فشكرتني ومضت إلى مقعد خشبي قريب مني فجلست... كانت في سن الأربعين أو أكبر من ذلك بقليل.... تقدمت نحو المقعد الخشبي الذي تجلس عليه وسلمت عليها تحية عابر سبيل... وكان ردها بصوت منخفض

جـدًا... لكنني عندما اقتربت منها وجدتها جميلة... أكثر مما كنت أتوقـع.. كنت أحـس أنها مكتومة في مقعد الحديقة الخشـبي الذي تجلس عليه.....

وأخـذت دورة كاملـة علـى الحديقـة ومـررت بهـا... وهي لازالت جالسـة في مكانها... فلم أسـلم وبعدما سرت قليلا.... إذا هـي تقوم وتسـير خلفي في نفس الإتجاه الذي أسـير فيـه وإن كان بيننا مسـافة.. إلّا إنني أخذت أسـحب رجلي في المشـي كي تلحق بي..... لكنها عكسـت اتجاهها وأخذت تسير بعكس اتجاهي.... شـدت انتباهي لها... وبدأت اختلس النظر إليها عندما تمر بجانبي أو أمامي.. كان فستانها يلم أنوثتها ويختنق جسمها في داخله.

(أما زماني سـاقني للشـقاء سوق

أو زادني همًـا علـى غـيرهمـي)

تعلقت بها عيني وكان عندي رغبة في التعرف عليها... ورجعت إليّ مرحلة المراهقة وأنا قد تعديت الستين.. من عمري.....

تلاقينا ونحن نمشـي أكثـر من مرة..... أحسسـت أن بها رقة وأنوثة أكثر من المعقول..... لذلك شدت انتباهي وبقيت مشدودًا

إليهـا افحصها من الإمـام ومن الخلف..... جميلة في كل شـيء.. جسمها المتناسـق وصدرها.... نعم كل شي فيها جميل.... أو قد يكون هذا ما صورته عيني لي في ذلك اليوم..

.. ومـرت الأيام وأنا أقابلهـا في الحديقة كل يوم.. فعزمت أن أتكلم معها... كانت تشبه فتاة كنت أحبها في زمن الصبا كثيرًا إلّا أن هذه أجمل منها... وقلت... يمكن إن الله قد بعثها لي كبدل فاقد في آخر عمري.. فاقتربت منها وسلمت.. ثم قلت:

– أنا أقابلك هنا كل يوم.... هل أنت وحيدة..؟

– نعم أنا وحدي.... وأخرج هنا للتـنـــزه وأحرّك قدماي... فأنا دائما آتي إلى هذه الحديقة...

– هل أنت متزوجة..؟

– متزوجة ولست متزوجة....

– كيف؟

– هذا لا تسأل عنه..... إذا طال بنا اللقاء سأخبرك...

– هذا من حقك...

وتمر الأيام.. وغدت تشاركني إفطاري... كنت سعيدًا ونحن على هذا الحال... أحضر الإفطار معي وهي تشاركني فيه...

وفي ذات يوم قالت.:

- ألا تريدني أن احضر إفطار لنا يوم غد؟.... فأنت الذي تحضره كل يوم...

- لا... فأنا سعيد بذلك...

- اذًا.... نتغدى اليوم في هذا المطعم الذي أمامك.. سويًا على حسابي..

- هذه دعوة لا يمكن أن أرفضها...

عندما ذهبنا إلى المطعم كنا من أول المرتادين... وجلسنا في آخر المطعم.... وكانت الحديقة أمامنا.... الكراسي لا زالت خالية من الزبائن..... لكن المطعم نظيف ومرتّب.. كنت في غاية التقيد بالعادات والتقاليد.. وكل خوفي أن أتصرف بما لا يليق أمامها أو أن تتثاقل جلستها معي... فكانت حركاتي محسوبة بدقة وكذلك حديثي معها..

قالت أثناء تناولنا الغداء:

- لم تعد تسألني عن موضوع زواجي....

- رأيــتك لا تريدين التحدث عنه..

- يا سيدي أنا متزوجة من رجل.. سامحه الله..... حياتي معه إن حضر إلـى البيت..... وذلـك قليل..... دائمًا جـــدال وعناد ومشـــاكل.. لا تنـــتهي.... لذلـك أنا اخـــرج من البيـــت كل يوم.... لا لشـــيء إلا أني أحـــس بالراحـة..... وذلك يخرجني من الشعور با لوحدة والشـرود الذهـني الذي أرهـقني.. وأنا ليس لديّ حلًا آخر..

- وأين هو زوجك الآن....؟

- انه يعمل في المستشفى..... وأعتقد أنه متزوج هناك... فهو لا يأتي في الأسـبوع إلا سـاعات محدودة وكأننا أخـوة... لا اعرفه منذ زواجنا إلا مرات معدودة...

- أنت لم تحملي منه..؟

- لا أريد ذلك... إنني استعمل حبوبا.... آه لو تعلم..؟

كل يوم تسرح بي أفكاري عندما أفكر في القادم المجهول.. أحس أنني فقدت كل شيء كنت أتمناه... ليس بمقدوري أن أوقف أيام عمري.. إنها تسير ببطء... كما تسير السحابة المعلقة بين السماء والأرض.. تدفعها الريح إلى المجهول.. وأنا كذلك يدفعني حب البقاء إلى أن أخرج من البيت إلى أي مكان.... المهم أن لا أبقى في البيت.. فالبيت والقبر سواء.. والحياة تحلو بالنزهة.... وهكذا حياتي.. لقد تعودت عليها..

– ذلك أفضل.... طالما زوجك على ذلك الحال..... لماذا لا تطلبين الطلاق..؟

– أخواني في مدينة بعيدة... وهم قليلًا ما يسألون عني... فأين أذهب..؟.. على الأقل عندي شقة آوي إليها...

– أتعتقدين أن الحياة شقة فقط...؟

– أعلم كل شيء.... لكنني لم أحاول أن أفعل شيء..... كما أن والدي ووالدتي قد سارا إلى رحمة الله... فأين أذهب..؟

– هل يحضر مصاريف البيت من أكل وشرب وتسديد فواتير

المـاء والكهرباء وما إلى ذلك.... وهـل يعطيك نقودا إن احتجت لشيء تشترينه...؟

- نعم هذا لا أنكره.... وهذا قدري...

- نعم هذا قدرك... ثم غادرنا المطعم وعدنا كلًا إلى بيته...

وجدتها تشعر بحرية تملأ أنفاسها.. وإنها بأمان بعد ان اطمأنت إلى شـخص يشعرها بالأمان والسير معها في اتجاه واحد... وكنت مشـتاقًا لمعرفة الأكثـر عنها..... وان كانت تخفـي في عينيها حزن الأيـام التي ضاعت من عمرها دون أن يكون لها شـيئا ما تتذكر فيه أي سعادة أو ايجابية....

كانـت تذكـر طفولتهـا التـي عاشـتها في كنف والديهـا في عز وترف... ثم ما لبثت الأقدار ان أسلمتها إلى من تركها تذبل كزهرة اقـتطفت ثم تركت على الأرض.....

كانت تغمض عيناها وادري أنها سارحة في الزمن الذي قطعته بما فيه من حلاوة أو شـقاء..... مستسـلمة لما يدور في رأسها.... والذي اعتقد أنها ذكريات غير سارة..... وذلك من تقلب حركات

وجههـا... والتي يبدو أنها أنهكتها انفعالاتها والرصيد المؤلم الذي تكتنزه في مخيلتها...

عندمـا كنا في الحديقة كنا نجلس وطعام الإفطار بيننا... وهي ذاهلـة لا أدري في مـاذا تفكـر..... أمّـا أنا فكان في قلبـي مزيج من الخـوف ومـن السـعادة..... الخـوف أن تتركني وقـد تعلقت بها كثيرًا.... ومن السعادة بلقائي بها كل يوم في الحديقة..

أحسست أن لها رغبة في استمرار علاقتنا على هذا الحال لكن العمر يمضي وأنا الخاسر من استمرار العلاقة بهذا لصورة..

.. قالت:

- أنت.. لم تخبرني عن نفسك..؟

- لست أقل تعاسة منك..

كنـت متزوج مـن إمرأة.... تغضـب من أي شـيء..... وأنا تقاعدت من العمل ولم أعد احتمل النكد....

لذلك طلقتـــها....

أنا طـــلقتها بعد أن تزوج أولادي وبناتي....

عندي ولدين وبنت.... وهي ذهبت مع ولدها الكبير وتركوني جميعا.... ولم يعد يسأل عني أحدًا.... هكذا أخرجتني الدنيا.

وأنا لم أعش حياتي سعيدا مع زوجتي الأولى فماذا أفعل.... هذا قدري..... كنت طيلة حياتي أحدّث نفسي بالزواج للمرة الثانية.... لكنني لم أفعل.... وكنت أشعر أيضًا إنني لن أستمر معها.. لذلك لم أندم عندما طلقتها.

هدأت روحي بعد أن طلقتها وبدأت لا أنشد إلا الحرية التي غابت عني فترة طويلة....

أجد إنني أُطلقت من عقال... وإني لولا كثرة المرتادين للحديقة لتمطيت على أحد الكراسي بملابسي الداخلية. حتى أشعر إنني قد خرجت من كل قواعد الروتين والالتزام بالعادات التي حكمتني فترة طويلة.

- ومن يخدمك في بيتك..؟

- أنا اعمل لنفسي كل شيء.... أشتغل طباخ... كما

رأيت إفطاري..... أنا لا آكل إلّا من عمل يدي... وأخدم نفسي بنفسي..... وأهيه... ماشية الأمور.... وأحسّ بسعادة والحمد لله.

- تقول سعادة. هل أنت سعيد.....؟

جزء من سعادتي النفسية إنني عندما أضع رأسي على المخدة.. أشعر أن الدنيا كلها خلفي... ولا يوجد معي من ينكد عليّ..... وبعد أن تعبت وعجزت أن أحتمل العيش في المدينة التي تركت أولادي بها.... حملت جراحي ورحلت إلى هنا....إن هذه المدينة هادئة..... وأنا لا أريد أن أستعيد الآمي كل ليلة ولا أريد أن أشكي همومي لأي إنسان... ولم يكن لي صديقا هناك يمكن أن أبثه همومي..... وأعلم أنه سيواسيني ويسمع مني... لكن توقف بي الزمان عندما التقيت بك..... هل ستأتين هنا كل يوم.؟

- الله أعلم..

- لم أعد استطيع الحضور هنا بدونك..... إنني انتظرك من أول النهار.

- وأنا ارتحت لك فعلًا....

- إذًا نبقى أصدقاء..

- وهو كذلك..

- يعجبني نقش الحناء الذي في يديك...

- لم يمدحني أحدًا قبلك..

- لكن النقش جميل ويديك جميلة أيضا.. أنا أقول الحق..

- شكرًا.... عيونك الجميلة...؟

-.. وقد نظمت في نقش الحناء الذي في يديك قصيدة..

أعجبني هذا النقش منذ قابلتك وجلست معي للإفطار...

- أسمعني..

- أرجو أن تعجبك.....

وحين التقينا تمنيت أني أنا النقش ذا في يديك..

تمنيت التفّ مثل الأساور في معصميك..

تمنيت في كل يوم أراك..

فلا تسأليني لماذا..؟

فأني من دون عقلي أسير....

ومن دون قلب أسير....

وإني من سحر عينيك لم استفيق...

دعتني عيونك..... وجئت إليها. مسافر..

من دون وعي.. أنا والطريق..

ولم أسأل البحر والشط أين نهاية دربي..

فكل المواني مرساي.. وكل الدروب لرجلي طريق.....

..... لم تعلق على القصيدة بأي كلمة لكنها غابت في مكانها في صمت ويظهر أنها قد تغطت بالذكريات.... فجأة ألقت عليّ نظرات قاسية... وكأنها تعاتبني فأرخيت نظري.... وكأنني اعتذر فالتفت جانبا.... ورأيت الألم يطوف بمهاجر عيونها وكأن وجهها شاحبا.

ثم رنت إليّ بعينيها وكأن بها تعب شديد أو عتب عليّ وكأنها تقول: لماذا تريد مني أن اجتر متاعبي وسكتت برهة.

ثم ابتسمت ابتسامة متعبة وقالت ماذا تريد مني أن أقول.... ثم سكتت قليلا....

التفت إليها فإذا هي مطرقة إلى الأرض وعيناها تذرف دمعًا.... وساد الصمت.. فقلت..::

- أنا متأسف إن كانت القصيدة فيها ما لا تريدين.. لكنك طلبت مني سماع القصيدة.. وأنا ما قلت ما يجرح شعورك..

- أنت إنسان رائع..... أنا تذكرت أشياء أخرى...

تصدق..... أنني لم اسمع من زوجي في يوم من الأيام كلمة مدح أو إعجاب تطيب بها نفسي أو ترفع معنوياتي.... إن المرأة تحتاج من زوجها إلى كلام جميل تحس إنها شيء في حياته.. كنت عندما أعود إلى شقتي وأذهب إلى فراشي أتوسد حزني ومتاعبي. أفكر في حلًا لمشكلتي فلا أجد إلا الصبر والصبر فقط....

وكنت دائمًا صامتةً أُلملم أفكاري التي تناثرت حولي في كل مكان.

هذه حياتي التي تسألني عنها..

أخذنا في التسكع في الحديقة ثم خرجنا إلى الشارع الموازي لها وكأن الحديقة لم تعد تسعنا..

وتمر الأيام..... وتنقطع عني فترة... وكأنني أصبحت عندئذٍ ضائعاً.... واستمر غيابها أكثر من أسبوعين.... حتى أنني يئست من عودتها...

ارّقني اختفاءها المفاجئ..... مازلت مواصلا المشي في الحديقة أملًا في عودتها.... وكنت أجلس على المقعد الذي تجلس عليه. كل يوم انتظر مجيئها..

كان الشتاء قد أطل برأسه على المدينة والغيوم ترادف من كل اتجاه وكانت الأرض مبتلة من آثار المطر الذي هطل على الحديقة في الليلة السابقة وأخذت أتابع حركه الطيور...

كنت أتخيل في نفسي أنها ستأتي من بين أشجار الحديقة وأرى طيفها وهي قادمة في هيئتها الجذابة والمعطف الشتوي الأزرق...

كنت أمشي وحدي في الحديقة ضعف الوقت الذي كنت أمشيه عندما كانت معي.. أملًا في أنها في أي لحظة سوف تأتي.....

وكنت أسحب رجلي في الممشى من القنوط الذي أجده في نفسي.. وأحس أنها ضاعت... أو أنها في طريقها إلى الضياع..

وأُعزي نفسي أحيانًا إن هذا قدري.... فأنا قد اندفعت إليها بدون حساب وأعادت ذاكرتي إلى تلك المرأة التي أحببتها أيام الصبا....

كنت أتذكر صورتها في كل لحظة.... إنها فعلا جميلة... وأرى أنها أجمل من تلك البنت التي تشبهها..... ضحكتها تشعرك بالرضى عن كل شيء حولك.... وتحس أنها أجمل من أعذب موسيقى..... كذلك عيناها وطول رموشها.... فكيف يهملها زوجها..... هذا يمكن ليس له إحساس أو شعور أو رجولة.

كنت أرى أنها كانت تريد ان تريني من نفسها ما أريد أن أعرفه.... دون أن أطلبه منها فهي جريئة..... وتقول لي دائما إنها تمشي كثيرًا في هذه الحديقة أو في الشوارع والطرقات التي قريبة من شقتها..... وكنت أتمنى أن أعرف الأماكن التي تمشي فيها لكي أبحث عنها هناك....

كنت أحدث نفسي إنني استطيع أن التقطها من الضياع الذي تعيشه مع زوجها..... والذي أصبحت أحقد عليه.... فهي لا تستحق كل هذا الذي ذكرته من زوجها...

وبعد فترة عادت بعد الغياب..... لتخبرني إنها تطلقت وأن زوجها قد ترك لها الشقة لمدة سنة. وتذكرت قول الشاعر:

بعد غيبة شهر للوصل مشتاقة

كابرت لين جاب الشوق تاليها

أقبلت للقاء والعشق توّاقة

كل غصن إيتثنى من تثنيها

استباحت حشاي وقدت أوراقه

وأمطرت في ضلوعي.. عز واليها

قالت: البعد هزّ الغصن وأوراقه

قلت: حبلٍ خذا الدلو بعراويها

أعطي الطير حريته ومسباقه

وده يصيدها وإلا يخاويها

- فقلت لعل الله أراد بك خيرًا...

- ألم تكتب فيّ قصيدة في هذه الفترة...؟

- بلى..

- اسمعني:

يا قنديلًا في آخر دربي...

يا غـفوات الأسحار الساهرة فوق الأغصان..

بين جفوني أكتبك بكل حروف لغات الدنيا..

كي لا أنساك..

أتوسد خوفي حين تراودني أسئلتي عنك.

فتنطق جدران الصمت المبهم قائلة لن ألقاك...

يركض خلفي أسأله تطلب مني إن أبحث عنك..

فلا أجد أثرا.. تجذبني فيه وقع خطاك...

تتوارد حولي كل تضاريس. الوجع القسري..

وتتصارع بين ضلوعي أكثر من خاطرة..

لا تخرج من صدري.....

فانا أحفظها في قلب ليس له شباك...

يا فرحة تاهت من عمري.. أزمانًا

هل لي أن أسترجع من عمري أياماَ..

تطربني فيها همس شفاك..؟

هل لي أن أهرب منك.... فقد ضاعت مني أطياف الصبر...

وأنا أستنطق أبواب اليأس..

وأدفن زفراتي في درب تملأه الأشواك...

- الله أنت شاعر فعلًا..

- قولي إنها خواطر فقط..

- زدني مما كتبت فيّ وأنا غائبة عنك..

- أخشى أن تكرهيني من كثرة إعجابي بك...

- أبدًا... هات ما عندك...

- اسمعي..

في ذاكرتي أشياء ليس لها أسماء..

في ذاكرتي أرضا لا ينبت فيها العشب..

ولو كثرت فيها الأمطار...

في ذاكرتي إمرأة رائعة

لا تشبهها إلّا رائحة الأزهار..

في بسمتها ضوء الفجر.

وإشراقة شمس حول الأنهار...

في قامتها نخلة باســـقة.

تعلو فوق جميع الأشجار.

في عينيها سحر يتثاءب بين الأحداق الفاترة....

تتـــذكر منها هاروت وماروت وأوراق السحر بكل الألوان..

يخرج من ساحل عينيها وقع سهام الموت.....

فلا يســلم منها إنسان.

إن ضحكت.. ابتسمت الأرض لمبسمها.

وأورقت الأغصان.

لكنك لا تملك أن غضبت..

أن تنسى كل الأوطان.

لازالت ذاكرتي تذكر منها رائحة العطر المتموج..

في كل الطرقات وجنبات الجدران....

لا زالت ذاكرتي تذكر أشياء لن أودعها بين سطوري..

أو حتى دفتر أيامي.....

بل أحفظها في قلبي يا زهر الرمان..

أنا من بعد الأيام القاسية من صبري....

قررت بأن اخرج من بين سطور زماني وأترجل..

أن أقلع من صدري أكواما متراكمة في أعماقي..

من خوف ووجل..

أن أترك للدرب المهجور بأن يأخذني في يده حتى يوصل..

لا أدري أين سيذهب بي لكني قررت بأن أفعل..

قررت بأن أترك للأيام تسـافر بي..

وأنا أتبـعها مثل الأهبل..

لا أعرف حلًا يأخذني للموت...

سوى هذا الدرب المتعب كي أرحل..

يا من أتعبت مكانك في قلبي...

قل لي من أين أجيك.؟.

من أي طـريق لو سـرت بها ألـقاك..

وأغمس كـفي بين يديك..

يا قوت القلب... لم أسلى عنك ولا أقدر يوما أن أنساك..

أرهقني بعدك وأنا أنتظر الأيام..

لكي تسمح لي أن ألقاك..

أتعبني صبري بعد غيابك يا قدري...

أشـتاقك..... هل لي أن أعرف هل سأراك..؟

وأنت تركت مكانك في قلبي...

بين جفوني..

أشياء كثيرة أخرى.. لازالت باقيةً من ذكراك..

لازالت إذني تسمع في ساعات العمر المتمدد فيه.. قرع خطاك..

أتعبني الصبر كثيرًا.. أرسل لي صبرًا...

فأنا صبري قد مسحته الأيام.. فقل لي كيف أراك...

- تسلم.. أنت عاشق إذًا.. من متى وأنت تكتب الشعر..

- خواطر تأتي بلا ميعاد... أتت بها حلاوة الروح في الزمن المتأخر..

واستمرت علاقتنا في الحديقة أو في ذلك المطعم..... وبعد ذلك بفترة.... سألتها.... إن كانت تقبل بي زوجًا. فابتسمت وقالت:

- أنت كم عمرك.....؟

- أنا متقاعد من العمل منذ سنة... والرجل إذا تقاعد. لا يحسب عمره بعد ذلك.... فأنا أترك باقي عمري بدون حساب..

لكني ولله الحمد بكامل قواي العقلية والجسمية كما ترين... هل من أسئلة أخرى..؟

- (ضحكت)..... ثم قالت.. هو تحقيق..؟

- احسب ذلك..

- أين سنعيش...؟

- في بيتي... وإن أحببت أن نعيش في شقتك باقي السنة هذه فليس لدي مانع.. المهم موافقتك... وكل الأمور الباقية لن نختلف عليها... أنا سأكون السامع المطيع..

- كأنك تقرأ ما أفكر فيه. أنا أصلًا ما طلبت الطلاق إلا من اجل أن نبقى سويا.

- لو تعلمين كم اشتقت إليك... وكان خوفي ألّا تعودين.. لا أدري كيف تملكني هذا الهاجس.... لقد أعدتني إلى زمن قد ابتعدت عنه كثيرًا..

- حقًا أشتقت لي...؟

- أحببتك غصبًا عني... لا تسألي كيف ولماذا.... لأني لا

أعرف.... إلّا إنني اتجهت بكل أحاسيسي إليك بقوة..... هي قوة السنين التي ضاعت من عمري دون أن أعرف للسعادة طعمًا.. أو لونًا أو رائحةً...

- والآن...؟

- أتمنى أن يتوقف بنا الزمان الآن.. لنبدأ حياة كنا ننتظرها.. ليهرب كلًا منّا إلى الآخر.. أرى أن حياتي سوف تبدأ بشكل مختلف من الآن..... وأن أرواحنا قد تلاقت قبل أن نتلاقى في هذه الحديقة....

- أتعتقد أننا سنكون سعداء..؟

- إذا وجد الرجل إمرأة تفهمه فهو سعيد.. وأنا أعتقد أنك المرأة التي كنت أبحث عنها..

- لقد انتهيت من العدة الشرعية قبل أسبوع.....

- أعلم ذلك وأنا كنت أحسبها باليوم..

- وعلى هذا نلتقي غدا هنا ثم نذهب إلى المأذون..

- كم تريدين مهرًا..

- ما تدفعه أنا أقبل به..

- كل شيء سيكون عند حسن ظنك..

ومن اليـوم التالي تزوجنا وبدأنا حيـاة جديدة... هي أجمل أيام العمر.

حديقة الفندق

في الفنـدق المطـل علـى البحـر حديقـة كبيـرة فيها أشـجار متنوعة.... وكذلك نباتات زهرية كبيرة وأرصفة وأراضها مفروشة بإعشـاب طبيعية..... فيها أماكن للطيـور.... وفيها حديقة حيوان مصغـرة.... وبوسـطها بركة مـاء كبيـرة تعيش في داخلها أسـماك من كل الأنواع والأشـكال. حول البحيرة يوجـد كازينو دائما أراه مكتظـا بالمرتاديـن إلـى وقت متأخـر مـن الليـل،وفي ذات ليلة.. نظرت من نافذة غرفـتي في الفندق فرأيت العمل قد انحسر فيه إلى أعـداد قليلـة... فنزلت وقابلـت صاحب الكازينو وجلسـت قريبا منه..... وطلبت كوبا من الشـاي فأسـتوى جالسًا وسألني من أين أنـا.... فقلت له من مدينه بعيدة من هنـا وجئت إلى هنا منذ بضعة أيام.....

قال لي:

- هل أنت مرتاح هنا

- نعم.... هذا المكان لك؟

- نعم.... إنني أخذته من البلدية باجرة سنوية..

- ما شاء الله..... العمل هنا أراه رائعًا جدًا.

- نعم...

- هل أنت مرتاح للعمل بجانب هذه البحيرة.؟

- نعم هذا شغلي.

- مع كثرة الزبائن لم يحدث لك مواقف صعبة.؟

- كثير.. جدًا وقد دخلت إلى السجن ستة أشهر دون ذنب.

- كيف تدخل السجن بدون ذنب؟

- أنا أقول لك..:

في ذات ليلة وبعد منتصف الليل جاءت فتاة في الخامسة والعشرين من العمر تقريبا وأخذت تطلب شيئًا من البوظة والشاي إلى أن غادر أغلب الزبائن فاقتربت منها وقلت لها إننا الآن نستعد لإغلاق الكازينو.

فقالت لي لا أريد أن أخرج من هنا...

- كيف؟

– إن زوجي يعود في آخر الليل فيضربني كل ليلة وأنا لا أريد الرجوع إلى البيت.

– هل تريدين أن تخرجي إلى البحيرة اذًا... إن شئت..... فنحن سنقفل المحل.

– إن الجو خارج الكازينو بارد جدا فأنا أريد أن أبقى هنا..

في تلك اللحظة كشفت بلوزتها عن ظهرها... وأرتني أماكن الضرب الذي تعرضت له، فرثيت لها.

وكان هناك غرفة اتخذها مخدعًا لي..... وطلبت منها أن تدخل إليها... ثم تغلق الباب على نفسها من الداخل بعد أن أعطيتها بعض الطعام... وكذلك بعض زجاجات الماء والعصير وأنا بقيت هنا في مكاني هذا وطلبت من العمال أن يقفلوا المحل ويغادروا.

وفي اليوم التالي كنت أتعهدها بالماء والأكل..... وجلست هنا ثلاثة أيام وكنت أسألها:

– لماذا لا تذهبين إلى أهلك.؟

- لا يوجد من أهلي أحدًا إلا أخي.... وهو متزوج من أخت زوجي ولن يتركني انفصل عنه....

- لا بد أن تخبريه بمكانك.... أو تبلغي الشرطة فأنا لا استطيع أن احتمل بقائك هنا..... سيّما وأن بعض العمال أصبح يعلم بمكانك وقد يظنون بنا الظنون...

- إذًا اتصل بأخي واخبره.... وأخذت رقم هاتفه منها واتصلت به..... لكن المفاجأة أنه أتى بالشرطة وتم القبض عليّ أنا وهي.. وزجّ بنا إلى السجن.

- ألم تقل لهم الحقيقة.؟

- بلى ولكنهم لم يصدقوني رغم أنها برأتني من كل التهم التي حاولوا أن يلصقوها بي.

- ألم توكل محامي.؟

- لا... كنت أدافع عن نفسي فأنا لم أرتكب ذنبًا.

- أنت آويت امرأة مجهولة....!

- أنا عملت معروف وأشفقت عليها.

- ثم ماذا؟

- حكم علي بالسجن ستة أشهر وغرامة خمسة ألاف ريال وبعدها خرجت.

- ألا تعلم ماذا حل بها بعد ذلك.؟

- لقد تطلقت منه بعد أن دفعت له مبلغا من المال.

- ألم تراها بعد ذلك.

- بلى إنها زبون تأتي إلى هنا مرات كثيرة..... وكانت تتأسف عن ما جرى لي بسببها... لكنني لم أندم على ما فعلته معها وأنا احترمها رغم المتاعب التي تسببت لي فيها...

- لماذا لا تتزوجها.؟

- إنني أحبها رغم كل شي.... وهي جميلة لكنني لو فعلت ذلك لألصقت بي وبها تهمة كان زوجها وأخوها ينتظرونها بكل وقاحة..... لذلك تركتها وشأنها.

ثم تركته وانصرفت بعد أن قام العمال بالاستعداد لإغلاق الكازينو.....

وكنت أتعاود ذلك الكازينو طيلة إقامتي في الفندق وأتعمد أن أذهب إليه بعد منتصف الليل.

وكان يستقبلني بكل حفاوة... وكأنني أحد أصدقائه..

وفي ذات ليلة أتت إليه فتاة جميلة جدًا... فدعاني وأشار عليها... وقال هذه التي دخلت السجن بسببها فتبسمت وهي تنظر إليّ وقالت...

- ألا تعلم أن لكل معروف ضريبة.

- نعم هذا صحيح..... وجلست معها تلك الليلة بالقرب من صاحب الكازينو..... والحقيقة أنني تمنيت تلك الليلة أن تطول إلى مالا نهاية.... فكان حديثها ممتع وجمالها لا يقاوم.... لكنني في اليوم التالي عدت إلى بلدي.... حيث انتهت إجازتي ولابد من أن أباشر عملي وافترقنا.... لكني أخذت رقم تلفون صاحب الكازينو وبقينا على اتصال.....

دروس خصوصية

استدعاني مدير المدرسة ذات يوم وقال لي:

لقد اخترتك من دون كل المعلمين لتلقي دروس خصوصية لبعض الطلاب آخر النهار.... فقد طلب مني والده أن اختار له المدرس..... فوافقت وأخذت العنوان وكان موعدنا نتقابل في شقته في الساعة الخامسة عصرًا.

كان الطالب يدرس في الصف الثالث الابتدائي إلّا إنه ضعيف في أغلب المواد وخصوصا القراءة والكتابة فقابلت والده واتفقت معه على أجرة الدروس وأن الموعد من الساعة الخامسة إلى السادسة عصرًا.

كان لدي سيارة تكسي أعمل بها بعد الدوام.. وفي الساعة الخامسة أكون قد وصلت إلى شقه الرجل..... لم أجده في البيت إلا في اليوم الأول فقط قد كان يعمل في تجارته من بعد صلاة العصر إلى بعد صلاة العشاء بفترة حسب ما علمت من ولده.....

استمر الطالب أيمن في تلقي الدروس وكنت أركّز على الكتابة والقراءة والحساب حتى تحسنت أحواله الدراسية وكان والده ووالدته قد أدركا ذلك.

ونجح أيمن بتفوق في تلك السنة وانتقل إلى الصف الرابع فطلب مني والده أن استمر مع ابنه وأن يبقى متفوقا في دراسته فوافقت.

وفي يوم من الأيام دخلت أم أيمن وهي متحجبة وقالت:

- أيمن يقول:

إن لديك سيارة تكسي... صحيح.؟

- نعم صحيح..

- يعني لو قلنا لك تودينا مشوار... ونعطيك الأجرة...؟

- لابد أن يقول لي ذلك أبو أيمن.

- هذا الأمر بسيط وأنا لن أخرج من غير إذنه.. وأنا الآن أكلمه واطلب منه أن يكلمك بذلك....

- ما عندي مانع بعدما أخلص الدرس مع أيمن.

- وهو كذلك....

وبعـد قليل اتصلـت بزوجها أبو أيمن وطلبـت مني أن اكلمه فأبدى موافقته.

ونزلنا إلى سيارتي التاكسي.....

كانـت ذات موديل قديم وعليها من مخلفات الركاب والغبار ورائحـة الزيوت مالا يتحمله مثلها.. فركبـت على مضض بعد أن وجدت السـيارة بهيئتها المحزنة... لكنها ركبت في المقعد الخلفي وركـب أيمن بجانبـي وركبت معها ابنتها التي لم تدخل المدرسـة بعد....

وسألتني لماذا لا أغيّر السيارة بسيارة أنظف منها... فقلت إن هذا الأمر.. أفكر فيه لكنني الآن لا أملك قيمتها.... فقالت:

- بإمكانك أن تطلب من أبو أيمن..... ثم تسدده فيما بعد..

- أنا لا أحب أن استدين من أحد.

- نحـن نريـد أن نتعامل معك في مشـاويرنا داخـل البلد فأبو أيمـن أكثـر وقته مع تجارته في المحل.. ونحـن نثق بك أن توصلنا

إلى مشاويرنا الضرورية لكنني أعتقد أن هذه السيارة ستكون العقبة التي لن نقبلها.

– والله هذا اللي أقدر عليه.... ولن أطلب من أحد أن يسلفني أي مبلغ حتى أغيّر السيارة.

– حتى لو كنت أنا....؟

–..... لم أرد....

– جاوبني.. إذا أعطيتك فلوس لتشـتري بها سيارة جديدة ثم تسددني بعد ذلك. تقبلها مني..؟

وكل ما توفر معك مبلغ تسدده من قيمتها.

– افرضي إنني تأخرت في التسديد بعض الأشهر.

– أنا أعتقد أنك إنسان أمين ولن تأكل مال حرام..

– اتركيني أفكر..... لابد أن يعلم بذلك أبو أيمن..

– أنا الذي سأخبره وهو لن يمانع.

– على كذا أنا موافق....

واشـتريت تاكسي جديدة وكنت أعتني بالسيارة جدا. وكانت

تذهب معي بعد الدرس الذي أعطيه لابنها تقريبا كل يوم... وغدت تركب معي دون حجاب.. وأنا غدوت مثل السائق لديها... وفي نهاية تلك السنة.... نجح أيضًا أيمن بتفوق.... فطلبت مني أن أرافقهم في السفر إلى القاهرة وأنها قد طلبت من أبو أيمن أن يحسب حسابي في تذاكر السفر..... فوافقت على أخذ التذاكر غير إنني سافرت بمفردي ولم أحاول أن التقي بهم.

كنت متزوجا في إحدى القرى القريبة من مدينة الطائف ولدي ولد وبنتين..... وزوجتي من أحب الناس إليّ.... وقد تركت زوجتي وأولادي بالقرية... نظرا لكبر سن والدي ووالدتي وطلبت مني أن أبقيها معهم وكنت على اتصال بهم دائما.

كانت أم أيمن عندما أذهب بها إلى السوق أو النزهة تطلب مني أذهب أولًا إلى بيت أهلها... ثم تأخذ أختها الأصغر منها ثم نذهب سويا.... كانت أختها جميلة جدًا.... وقد تزوجت ولم تتوفق في زواجها.... ولاحظت أم أيمن كثرة التفاتي إليها ورغبتي في التحدث معها.... فسرت كثيرًا.... وكانت تريد أن تتعمق علاقتنا.... ويمكن بعد ذلك أن تتم علاقة زواج بيننا.... وقد كنت

أود ذلـك إلا أننـي أصطدم بحبي لزوجتي وأطفالي ثم تضـحيتها من أجل والدي ووالدتي فيظهر أمامي كرت أحـمر... أن لا أتقدم خطوة واحدة إلى فكرة زواجي مرّة ثانية.

وبعـد عودتهم من الإجازة الصيفية التي قضوها في القاهرة تم الاتصـال بي على أن أكمل مشـواري مع أيمن في السـنة الدراسـية الخامسة وكذلك مشاوير التاكسي.

كنت قد سددت المبلغ الذي قدمته لي أم أيمن لشراء التاكسي الجديـد وكانت علاقتي مع أختها مروة.. تزداد.... وأنا يزداد قلبي تعلقا بها،..... فعرضت علي أم أيمن إكمال الارتباط الشرعي بيني وبين مروة إلا إنني طلبت وقتا للتفكير...

وطالـت مدة التفكير وزاد تعلـق مروة بي وكانت عندما أكون مـع أيمن في الدرس الـذي أقوم به معه... تـأتي وتجلس معنا وبعد طـول تردد طلبـت مني أم أيمـن أن احزم أمري حـول زواجي من مـروة لكننـي أبديت لها عدم اسـتطاعتي... حيث إني سـأعود إلى الطائف ولا استطيع البقاء في جده.

وذات يوم وبينما كنت أنزل بعض الحقائب من السيارة كانت حقيبة مروة مفتوحة..... فانفرط ما فيها خلف السيارة وهناك وقع الذي لم أكن أتوقعه..... فقد لملمت الذي كان في الحقيبة ووضعتها في الحقيبة وحملتها إلى الشقة.... لكن المفاجأ الكبرى أن مروة صاحت بصوت مرتفع قائلة.....:

إن هناك عقدا من الذهب كان في الحقيبة لم تجده... وانقلب الوضع في وجهي وأصبحوا مثل الوحوش وطلبوا مني أن أقف خلف الباب حتى يتم تفتيش الحقيبة مرّة أخرى..... وفي هذا الوقت كانوا قد اتصلوا بالشرطة وبعد فترة قصيرة أتت الشرطة وتم القبض عليّ وهناك أودعت السجن وبقيت في السجن شهراً كاملًا قبل أن نلتقي أمام القاضي..... وعرض علي الزواج منها مقابل التنازل عن الشكوى فرفضت..... وعند القاضي ادّعت إني أخذت منها عقدًا من الذهب قيمته أكثر من عشرين ألف ريال قدمها لها زوجها الذي تطلقت منه في أيام زواجها.... فأنكرت ذلك..... وكانت تكشف عن وجهها أمام القاضي وتبكي بدموع غزار.... وكانت كما أسلفت جميلة جدا ولربما أن القاضي قد رثى لحالها

وصدقها ولم يصدقني فحكم علي بتسديد المبلغ..... عشرين ألف ريال مع إكمال سجني لمدة ستة أشهر.

وقضيت محكوميتي بعد أن طلبت من القاضي أن يقسط عليّ المبلغ.... وبعدما خرجت من السجن وجدتني خارج الوظيفة وطردت من عملي فبحثت عن عمل في وظيفة حكومية لكنني لم أتوفق..... وأنا الآن أصبحت أبيع شاي على الجمر على الطريق العام لكي أستطيع ان أؤمن لي ولعائلتي لقمة العيش والله المستعان...

فهرس القصص

الريح العاتية ٥
عروس للوقت الإضافي ٦١
أنا معي ورد ٨٥
أنا لن أعود إليك ٩٨
أُم سالم ١٠٧
عائد من هناك ١١٧
أم إبراهيم ١٢١
ليلة مطر ١٢٤
صفيّة ١٣٠
رجل أمن ١٣٤
مدير المدرسة ١٤٠
لم ينجح أحد.. ..... ١٤٧
بدل فاقد ١٥٧
حديقة الفندق ١٨٢
دروس خصوصية ١٨٨